

# المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثالث بعد المائة

١ اغسطس سنة ١٩٤٣

٢٩ رجب سنة ١٣٦٢

## العلم والحريات الاربع

في الرسالة التي وجهها الرئيس روزفلت الى مجلسي الكونغرس الاميركي يوم ٦ يناير سنة ١٩٤١ قال « وفي الايام المقبلة التي ننوي ان نحيطها بكل ضمان، نتوقع ان يقوم العالم على اربع حريات انسانية اساسية. اولاً — حرية الكلام والتعبير ، في كل بقعة من بقاع الارض . ثانياً — حرية كل امرئ في عبادة الله على طريقته الخاصة ، في كل بقعة من بقاع الارض . ثالثاً — التحرر من ربة العوز ، وهو اذا أُفرغ في عبارات السياسة الدولية كان معناه عقد اتفاقات اقتصادية تضمن لانباء كل أمة عيشة راضية ، في كل بقعة من بقاع الارض . رابعاً — التحرر من الخوف ، وهو اذا أُفرغ في عبارات السياسة الدولية كان معناه خفض السلاح خفضاً عالمياً واسع النطاق حتى يستحيل على أمة ما أن تعتدي على جارة لها ، في كل بقعة من بقاع الارض

كذلك تكلم روزفلت السياسي والمصلح الاجتماعي . فاذا يقوله العلم في هذه الحريات ، لو تجسّم العلم رجلاً يستطيع أن يعرب ، أو لو تولى عالم مهمة الاعراب عنه ؟ ليس ثمة ريب في ان الحريات الأربع أصيلة في روح العلم وغرضه وتاريخ تطوره وارتقائه ، وليس ثمة ريب كذلك في أن معقد الرجاء في المستقبل ، انما هو تآزر العلم والحرية . ولعل غير واحد من قراء هذا المقال يذكر قول الانجيل « وتعرفون الحق والحق يحرركم »

فلولا حرية الفكر والتعبير عن الفكر لما كان للعلم كيان ، وبغير العلم في المستقبل ، وتعزيز



روحه يكون الرجا ضعيفاً في تحقيق حرية الانسان . فالناس ما فتئوا من فجر التاريخ ، بل ومن العصور السابقة لعصر التاريخ المدون ، يناضلون ويموتون في سبيل معرفة الحق ، ولكي يطلقوا غيرهم من قيود كثيرة ثقيلة تستعبدهم

ومن المائر الأولى التي يدين بها البشر الى العلماء الأول تحرير الناس من ربة السحر وعبادة الأوثان . ومع ذلك ففي كثير من بلدان العالم الآن ، تحد حرية الناس في عبادتهم أو تقيّد بقيود باهظة . وشراً من القيود المادية التي تقيد العبادة ذلك الاستعباد الروحي ، الذي يفرض على المرء ، وينشئ الصغار على عبادة « الدولة » التي يعدّها بعضهم كلية القدرة مسيطرة على كل صغيرة وكبيرة في حياة الناس المادية والاجتماعية والعقلية والروحية

ان سر الحياة في التربة التي يزكو فيها العلم أسلوباً ونتيجة ، هو حرية البحث وحرية التعبير . فالباحث الذي تمضيه غوامض الحياة وتوحي اليه أسرار الطبيعة بإصبع خفية ويكون ذهنه مهيباً ، عليه أن ينطلق خفيفاً من كل قيد ، الى حيث يقوده البحث . فاذا قال له البحث في العظم والدم والأحافير ، ان الانسان يمت بصلات كثيرة الى طوائف الحيوان ، على نحو ما يقول أصحاب التطور العضوي فعليه أن يخضع للدليل ، ويجب أن يتاح له أن يقول ذلك . واذا هداه البحث الى أن الأرض ليست مركز الكون ، كما يقول أصحاب الفلك الحديث من عصر كوبرنيكوس وغاليليو ، انقاد الى النتيجة ، ووجب أن يتاح له الاعراب عن رأيه فلا يعدّ ولا ينفي . واذا تبين ان الاحتراق هو الاتحاد بالاكسجين أخذ به وأذاعه ، بغير أن يعرض لقطع رأسه كما فعل رجال الثورة الفرنسية برأس لا فوازيه . واذا أيّدت الأرصاد قوله في تحدّب أشعة الضوء ، وجب ألا تنكره حكومة ما لأن صاحبه اينشتين وهو غير آري . لأنه اذا انقضت حرية البحث ، وحرية تبادل نتائج البحث ، سلب الاسلوب العلمي سر حياته ، واذا سلب سر حياته ، عاد الظلام يرين على العقول ، والسلاسل تقيّد الفكر ، ولو لم تكن من حديد . أي ان شجرة العلم ، يتمشى فيها الذبول فاليبس . وجميع مخترعات الأرض ، وهي من شجرة العلم في منزلة الثمر ، مردّها الى ما كشف من نواميس الطبيعة ، وهي في منزلة الجذور . ما أبلغ قولك يا قولتير حين قلت : « انني أمقت ما تقول وأخالفك في كل كلمة منه » ، ولكنني أدفع بحياتي عن حقك في أن تقوله »

فالصلة بين طبيعة العلم وتاريخه ، وبين الحريتين الأولى والثانية صلة وثيقة ولا تنفصم بغير ان يعود الانفصام على العلم وعلى الحريتين ، وعلى الاجتماع ، بأعظم ضرر

\*\*\*

وعن طريق العلم وتطبيقه خلال العصور ، دنا الناس من الحرية الثالثة ، وهي التي



وصفها روزفلت بقوله : التحرُّر من ربقة العوز . والقول في ما صنعه العلم من هذه الناحية حتى الآن يستغرق عشرات المجلدات ، في وصف ما استنبطه العلماء في ميادين استغلال موارد الطبيعة من معدنية وزراعية ، ووفروه من مأكل وملبس ومسكن وصحة لطوائف كثيرة من الناس . ورخاء البشر وسعادتهم مرتبطان بالموارد الطبيعية المتاحة لهم . وبحسن استغلالها . وبغير ذلك لا تجدي النيات مهما تحسن ولا الآمال مهما تسم . فوفرة هذه الموارد وإجادة استغلالها من الموضوعات التي يعنى بها كل من يعنيه مستقبل البشر على سطح الأرض . والعلماء يجمعون على أن وفرة الموارد الطبيعية تكفي عدداً من سكان الأرض يفوق عددهم الآن . ولكنها موزعة توزيعاً غير متساوي على سطح الأرض وهذا أصل طائفة كبيرة من وجوه النزاع السياسي والاقتصادي التي مني بها البشر . فاتاحة هذه الموارد لجميع الشعوب شرط أصيل لاجتماع دولي مستقر . وإلى هذا أشار روزفلت في تفسير « التحرُّر من ربقة العوز » حيث قال في العبارة التالية : « وهو إذا أُفرغ في عبارات السياسة الدولية كان معناه عقد اتفاقات اقتصادية تضمن لأبناء كل أمة عيشة راضية . في كل بقعة من بقاع الأرض » . وإلى هذا كذلك أشارت المادة الرابعة من دستور المحيط الأطلسي إذ جاء فيها : انهما ( أي روزفلت وتشترشل واضعا هذا الدستور ) يحاولان — مع احترام التزاماتهما القائمة — منح جميع الدول صغيرة كانت أو كبيرة ، ظافرة أو مقهورة ، حق الوصول إلى اتفاقات تجارية متساوية ، والحصول على مواد العالم الأولية التي تحتاج إليها لرخائها الاقتصادي »

وقد صنع العلم ماثر عظيمة خلال القرن الماضي ، في استغلال موارد الأرض . ولكن الذين اعتمدوا على العلم في استغلالها ، حصروا الفائدة التي تجني منها ، في نطاق ضيق أو خاص . فالاستغلال لم يكن على أساس نظرة عالمية شاملة . ومن هنا ما نشاهده في بلد كبير غني بالموارد الطبيعية كالصين والهند من فاقة وسوء حال ، وما نشاهده في بلد آخر من عيش رخي . ومن هنا كذلك ما طرق سمعنا في انشاء الأزمات الاقتصادية العالمية في العقد الماضي ، عن تكديس نتاج الأرض في بلد أو أكثر ، وعن اشتداد الحاجة إلى هذا النتاج في بلد آخر أو أكثر

والعلم الحديث ، لا يكتفي بتبيان كفاية الموارد الطبيعية واستغلالها ، بل يضيف إليها موارد جديدة فتقنها حيل العلماء . فكأنهم أضافوا إلى موارد الطبيعة ، وبعضها صائر إلى النفاد ، موارد لا تحد ولا تنفذ . وقد ضربنا من أشهر مثلاً على ذلك عند ما قلنا : أن كتب السياسة والاقتصاد التي كتبت أو نشرت قبل قرن ونصف قرن من الزمان تشير إلى أن أقطاب التفكير السياسي والاقتصادي كانوا غارقين في بحر من التشاؤم حيال موارد الطعام المتاحة للبشر على سطح الأرض . وكتب مالتوس رسالة بيّن فيها أن عدد سكان الكرة الأرضية يعمل إلى



الزيادة زيادة تفوق زيادة موارد الطعام . وعلى هذا حكم على الجنس البشري بالعيش في حدود  
 الفاقة والجوع، إلا إذا ابتدع طريقة تحد من تكاثره . ولم يكن أحد من العلماء قادراً حينئذٍ  
 على إحداث مذهب مالتوس لأن أحداً لم يكن قادراً أن يتصور ما يجيء به العلم في الغد .  
 وما جاء به العلم في الغد لم يكن فتح مناطق شاسعة من الأراضي البكر وحسب، فهذه خاضعة على  
 طول المدى لحكم مالتوس . ولكنه جاء بأساليب، أحلت الزراعة الجديدة محل الزراعة  
 القديمة . فنطاق المعارف آخذ في الاتساع ، وتطبيق المعارف العلمية على الزراعة مقترناً  
 بارتقاء أسباب المواصلات والنقل زاد قدرة الإنسان على إنتاج الطعام من الأرض،  
 وتاحته لمن يحتاج إليه ولو كان بعيداً عن موقع إنتاجه . فزاد سكان الأرض بعد وفاة  
 مالتوس زيادة كبيرة ، ولكن معدّل إنتاج الأرض زاد كذلك . بل إن زيادة معدل القدرة  
 على الإنتاج الزراعي سبقت معدّل زيادة السكان . وهناك دلائل كثيرة تدل على أننا ما زلنا  
 في مستهل العصر الذي يمكننا فيه العلم من استغلال الأرض على أوفى وجهٍ مستطاع  
 وما حدث في الزراعة وموارد الطعام ، حادث الآن في الصناعة وموارد الصناعة . فقد  
 كان الظن إلى عهد غير بعيد أن موارد الخامات اللازمة للآلات ، في عصر الصناعة ، لا تكفي  
 لاشباعهم الآلات . هنا منجم فحم ، وهناك بئر نفط ، وكلٌّ من يملك المنجم أو البئر  
 يستطيع أن يشبعهم آلاته ، وعلى غيره أن يقنع أو أن يحارب في سبيلها . ولكن العلم  
 الحديث أثبت، أنك تستطيع أن تصنع من موارد الطبيعة، التي تخرجها الأرض — وهي موارد  
 لا تنفذ وتتجدد كل سنة — طائفة كبيرة من المواد التي كنا نعتمد فيها على المناجم والآبار .  
 فئات من العجائن الكيميائية ، تحل محل عشرات من الفلزات في أوضاعٍ ووجوهٍ من  
 الاستعمال شتى . والمطاط والنفط والاسمدة وغيرها ، تصنع الآن بالتركيب الكيميائي .  
 وفول الصويا وحده — في نظر علم الكيمرجي أي استخراج مواد الصناعة من منتجات  
 الحقول — كنز لا يفتنى . ففي جبهته طاقة تجهّز بها من يأكلها . وفيها مواد كثيرة تصلح  
 لشتى الصناعات فعلاوة على مواد الطعام التي تؤخذ من هذه الحبوب ، يستخرج دهن يحل  
 محل النفط في محركات ديزل . ويصنع نوع من البنزين . وصوف . ومواد من قبيل العجائن  
 تدخل في هياكل شبابيك السيارات ومقابض أكر الأبواب ، ودهان يدهن به الخشب  
 والحديد ، ومطاط وغير ذلك . والتحرّر من العوز يجبر في أثره التحرّر من الجوع والمرض  
 ونحن من هذا التطوّر العلمي لا نزال في مستهل المرحلة الأولى  
 فإذا قال رجال السيامسة « التحرّر من ربقة العوز » . قال رجال العلم : « ليكم ،  
 بين أيديكم »



أما الحرية الرابعة فهي التي وصفها روزفلت بقوله إنها « التحرر من الخوف » .  
والمعنى الاول الذي اتجه اليه ذهن روزفلت هو التحرر من خوف الحرب . فهل عند العلم  
ما يقوله في قدرة الانسان على التحرر من خوف الحرب ؟

من عهد قريب عمد كاتب علمي أميركي يدعى بروس بليشن ، الى استطلاع آراء العلماء  
في هذا الموضوع وقد وصف نتائج بحثه في كتاب جديد دعه « الرجال الذين يبنون  
المستقبل » ، ويلخص ما قاله في هذه الناحية الخاصة في ما يلي : مع تعدد الآراء في هذا  
الموضوع الخطير يكاد يكون هناك اجماع بين علماء العصر في هذه الأيام على ان الحضارة الحديثة  
لا تنطوي على قوى قاسرة ، تدفع البشر دفعا الى الحرب كل فترة قصيرة من الزمان ، ما لم  
ينحدر البشر الى همجية لا يحق لاحد أن يتوقعها ، برغم نواكب الحرب . فالحرب في نظر  
علماء الاقتصاد لا تجدي جدوى مالية ، لا على الغالب ولا على المغلوب ، ولو أنفق جزء يسير  
مما ينفق على الحرب ، في سبيل تحسين العيش وتربية الناس لمهّد السبيل الى ارتقاء شعوب  
الارض ارتقاء صحيحا في الصحة والعمل وطلب الاشياء العليا . وضغط السكان بحسب ما هو  
معروف من اتجاه معدل المواليد والوفيات الآن ، لا يكفي في نظر علماء الاجتماع لتسوينغ  
الحرب . فهو في كثير من الأمم وعلى الاكثر مائل الى النقص . والنزاع على موارد الخامات  
الصناعية لا يجب أن يكون باعنا على الحرب ، اذا صفت النية وأحسن التوزيع . فوارد  
الارض نفسها وآيات العلم الحديث والصناعة ، تكفي جميع الشعوب وتفي بحاجتها القصوى  
وعلماء الطبيعة البيولوجية لا يقرون وجود غريزة تدفع الى الحرب ، او تجعل الحرب  
ارأ لا سفر منه . فالاعتداء في نظرهم يتلوّن بلون البيئة الاجتماعية . فعندما كانت  
البيئة الاجتماعية تبيح المبارزة كان الجبان يقدم عليها ، وعندما قضت البيئة الاجتماعية بأن  
المبارزة شر اجتماعي ، أصبح أشد الناس ميلا الى العدوان يسعى الى حسم الخلاف بالتحاب  
او عن طريق المحاكم . وعلماء النفس والتربية يذهبون الى انه في الوسع السيطرة على الانفعالات  
والتحكم فيها والتسامي بها . وهذه الطائفة من العلماء تذهب الى ان المربين متأهبون للذهاب  
الى مدارس الأمم المغلوبة ، واخراج جيل بعد سنين ، يؤمن بتفضيل الاسلوب الديمقراطي  
ومزاياه في تنظيم الاجتماع البشري على النظم الاخرى . فالعلماء مجمعون او في حكم المجمعين  
على ان عالما بغير حرب مستطاع وانه على كل حال ضروري ، وفي تحقيق هذا الغرض لا بد  
لاقطاب الأمم من الاسقمانه بما كشفه العلم الحديث في الزراعة والصناعة لتوفير أسباب العيش  
لكل أحد ، وما يقتضيه العلم الحديث من حرية هي سر حياته ، وما عرفه علماء النفس  
والاجتماع بالبحث والتجريب عن طبائع البشر وطبائع منشأهم



# صقلية العربية

ملتقى ثقافات عظيمة

اتجهت انظار العالم الى صقلية لترى كيف يبدأ غزو الحلفاء لقلعة أوروبا . وأصبح اسم هذه الجزيرة ملء الافواه والاسماع ، ويكتب بالخط العريض على صدور الجرائد بمختلف اللغات . صقلية ! كم ناطق باسمها لا يدري اي حنين يشيره هذا الاسم في قلوب الشرقيين . . . فلنا بها تاريخ وأي تاريخ ! وان قلوبنا ليملاها الفخر والأسى معاً اذا استعرضنا فيما يلي موجزاً لحكم العرب لهذه الجزيرة وللثقافة العربية التي تركت بها طابعها الذي لا يمحي

\* \* \*

يمثل فتح صقلية أقصى ما وصلت اليه موجة الفتح العربي للاندلس وأوروبا . وكان معاوية بن أبي سفيان أول من أوفد الجيوش لمهاجمة الجزيرة في سنة ٦٥٢ م وهي السنة التي مسح فيها الاسطول البيزنطي تجاه الامكندرية وانتقلت السيادة في البحر المتوسط الى العرب . ولكن الغزاة لم يثبتوا أقدامهم بالجزيرة واكتفوا بالمغانم والاسلاب الثمينة التي دادوا بها من سرقسه — الميناء العظيم الواقع على الشاطئ الشرقي من صقلية

وفي خلال القرن الثامن واصل قراصنة العرب والبربر من الاندلس وشمال افريقيا حملاتهم على جزر صقلية وسردينيا وكورسيكا . غير ان هذه الحملات لم تكن إلا غزوات مفاجئة وقتية لا تدبر طبقاً لخطّة موضوعة أو لغرض مرسوم . ثم تغيرت الامور بقيام أسرة الاغالبية القوية في القيروان في أوائل القرن التاسع إذ كان لا مفر من سقوط صقلية في أيديهم عاجلاً أو آجلاً . وقد منحت لهم فرصة الغزو في سنة ٨٢٧ عندما ثارت سرقسه في وجه الحاكم البيزنطي واستنجدت بالأغالبية فأسرع زيادة الله الاول ( ٨١٧ — ٣٨ ) ثالث ملوكهم بارسال أسطوله الضخم المكوّن من سبعين سفينة تحمل ما يقرب من عشرة آلاف مقاتل من المشاة وسبعمائة من الفرسان تحت قيادة وزيره وقاضي قضاته « أسد بن القرات » وكان شيخاً قارب السبعين من عمره ونزل الجيش في الركن الغربي الجنوبي من الجزيرة واتجه



شرقاً نحو سرقسة (ومن المتعقبات مقارنة خطة الأغلبة بخطة الخلفاء في الحرب الحالية) وسقطت بلرم Palermo في سنة ٨٣١ ومسينا في ٨٤٣ وسرقسة في سنة ٨٧٨ ، بعد حصار دام تسعة أشهر . ولكن غزو الجزيرة لم يتم إلا على يد السفاح الأغليي ابراهيم الثاني (٨٧٤ — ٩٠٢) الذي نزل بصقلية ودمر تاورمينا ، ثم مات ودفن بالجزيرة في سنة ٩٠٢ . وهكذا أصبحت صقلية عربية . واستمرت تحت حكم العرب قرنين كاملين يتناوب الأمر فيها امراء دب بينهم النزاع والشقاق ومنها تطرفوا حيناً ما الى جنوب إيطاليا وحكموه ولهم فيه آثار . وعند ما اندثرت أسرة الأغلبة دخلت صقلية تحت حكم الدولة الفاطمية الفتية ولعل المنازعات الطائفية هي التي دفعت بمسلمي صقلية بعد أربع سنوات من الحكم الفاطمي الى الثورة تحت قيادة « احمد بن قرحب » وعلان استقلالهم ودعوا في صلاة الجمعة للخليفة العباسي المقتدر عدو الفاطميين . وفي سنة ٩١٧ تخلى الجنود المغاربة عن احمد فتمكن الفاطميون من القبض عليه وقتله ، وبذلك عادت صقلية الى حكم الفاطميين

وقد اتخذ الفاطميون صقلية قاعدة يشن منها أسطولهم القوي حملاته على الساحل الايطالي حتى جنوى التي غزوها سنة ٩٣٤ وغنموا مغام كثيرة

وكانت الحالة الداخلية في صقلية بعيدة عن الاستقرار . الشعب منقسم طائفتين — العنصر الاندلسي والعنصر الافريقي — لا ينفك بينهما النزاع قائماً . ومما كان يزيده تعقيداً تلك الخصومة القديمة المتوارثة بين الينيين (وهم من جنوب شبه جزيرة العرب) والكلميين (وهم من شمال الجزيرة)

وفي سنة ٩٤٨ عين المنصور ثالث خلفاء الفاطميين الحسن بن علي بن ابي الحسين الكلي حاكماً على صقلية (حوالي سنة ٩٦٥ م) فوضع الحسن أساساً لامارة مستقرة شبه مستقلة . وفي عهده وعهد خلفائه بدأت بذور الثقافة العربية تنتج ثمارها في تلك الجزيرة المتعددة الاسن المختلفة الاجناس . وبلغت الحضارة العربية أوجها في الجزيرة في عهد ابي الفتوح يوسف بن عبد الله (٩٨٦ — ٩٨) أحد أحفاد الحسن

وكان الامراء الكلميون يعيشون في قصور باذخة في بلرم الزاهرة عاصمة أمارتهم . وكان بلاطهم عامراً بأهل العلم والادب . وقد وجد السائح الشرقي ابن حوقل (٩٤٣ — ١٠٠٠) في بلرم أكثر من مائة وخمسين محلاً للجزارة وحوالي ثلاثمائة مسجد وعداً ايضاً أكثر من ثلاثمائة معلم في المسكن العامة ولا حظ ان أهل المدينة كان يحلونهم محل الاحترام والاحلال ويعدونهم أئمة أهل المدينة وأفضلهم وذلك « رغماً عما هو معلوم عن معلمي المسكن من الزرق وقلة العقل »



وقد زالت أمارة الكلبين بسبب الفتن والحروب الداخلية وعاد البيزنطيون الى الجزيرة غير انهم لم يتمتعوا بها طويلاً ، فقد لحقهم النورمنديون واستولوا على صقلية في ١٠٩١

\*\*\*

وتحت حكم النورمنديين ازدهرت في الجزيرة ثقافة مسيحية اسلامية ، ترجع أصولها الى الشرق والى اليونان والرومان . ومع أن السكونت روجر فاتح الجزيرة النورمندي كان مسيحياً غير مثقف إلا أنه اتخذ معظم جنده من المسلمين وشجع العلوم العربية وأحاط نفسه بالعلماء المسلمين من فلاسفة وفلكيين وأطباء . وكفل لغير المسلمين حرية العبادة وإقامة الطقوس الدينية ، بل أنه حافظ على الاداة الحكومية كما وجدها وأبقى كبار الموظفين المسلمين في مناصبهم . وكان الطابع الذي يتسم به بلاطه طابعاً شرقياً أكثر منه غربياً . وبذلك استمرت صقلية قرناً كاملاً في صورة فذة لدولة مسيحية يشغل المسلمون أكبر مناصبها . وفي هذا القرن ظلت مقاليد تجارة الجزيرة على الأكثر في أيدي المسلمين ، كما كان الفضل في ازدهار الزراعة بها راجعاً الى خبرة الفلاحين المسلمين . وقد أدخل العرب في الجزيرة زراعة قصب السكر والكتان والزيتون وغيرها . وكان نبات البردي الذي لم ير له ابن حوقل نظيراً إلا في مصر يزرع بوفرة لم تعدها الجزيرة من قبل . وقد زار ابن جبير صقلية في سنة ١١٨٤ فاستوقف نظره خصوصتها وكثرة مواردها ووفرة دوالي العنب وغيره من الفواكه

\*\*\*

وقد بلغ الميل الى العرب ذروته في عهد روجر الثاني ( ١١٣٠ - ٥٤ ) وفي عهد فردريك الثاني

ولو بُعث امامنا روجر الثاني لوجدناه يرتدي ثياباً كنياس المسلمين ورداؤه مزخرف بحروف عربية . وكان خصومه يلقبونه بالملك نصف الكافر . وفي عهد حفيده وليم الثاني ( ١١٦٦ - ٨٩ ) رأى ابن جبير نساء بلرم المسيحيات مرتديات ملابس المسلمات ومما لاشك فيه ان مهرة العمال والصناع العرب استخدموا في بناء الابنية الهامة في صقلية . كما ان امراء البحر العرب هم الذين أشرفوا على بناء اسطول روجر وهو الذي اصبحت صقلية بفضل أقوى دولة بحرية في البحر المتوسط

ولكن ألمع جوهرة في تاج روجر الثاني كانت شخصية الادريسي أشهر جغرافي العصور الوسطى . وقد كتب الادريسي مؤلفاته النفيسة في بلرم تحت رعاية روجر الثاني . وكتابه المسمى « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » لا يلخص مؤلفات بطليموس والمسعودي فحسب بل يعتمد في أكثره على تقارير اصيلة دونتها رجال ندبوا للسفر الى بلاد مختلفة



لجمع المعلومات . ولم يكتف الادريسي بهذا المؤلف العظيم بل قدم الى روجر كورة سماوية وخارطة للسكرة على شكل قرص . وكلاهما من الفضة الخالصة .

وكذلك كان بلاط فردريك الثاني عامراً بالعلماء من الشام وبغداد . وظهر اهتمامه بالعالم الاسلامي فسعى في انشاء علاقات سياسية وتجارية مع الدول الاسلامية . ولا سيما مع الملك الكامل الايوبي في مصر . وقد أرسل اليه الملك الأشرف من الشام قبة تمثل فيها الكواكب السيارة Planetarium مع صورتي الشمس والقمر وقد بين عليها بالساعات مواعيد دورانها . وتحدى فردريك الثاني الملك الكامل وغيره من ملوك المسلمين في حل بعض المسائل الرياضية والدينية العويصة كما أرسلها الى ابن سبعين ( أبو محمد عبد الحق بن سبعين ١٢١٧ - ٧٩ ) العالم المتصوف الاندلسي الذي كان يلقب بقطب الدين . وقد حل علماء مصر والشام المسائل الرياضية والفلكية وأجاب ابن سبعين على المسائل الفلسفية واللاهوتية في رسائل سماها « الاجوبة على الاسئلة الصقلية » وأبى اخذ الجائزة التي عرضها فردريك عليه

واستقدم فردريك مهرة مدربي الصقور للصيد . وكلف مترجه تيودور الانطاكي ترجمة كتاب من العربية عن الصيد بالصقور وجعل هذا الكتاب مع كتاب آخر نقل له عن الفارسية اساساً لتأليف كتابه الكبير عن الصقور والاستعانة بها في الصيد . ويعد هذا الكتاب اول مؤلف حديث في التاريخ الطبيعي . وكذلك ترجمت في عهده مؤلفات ارسطو في علوم الحياة وكتابه في الحيوان مع تعليقات ابن سينا عليه . واول جامعة عامية مستقلة الكيان في اوربا هي الجامعة التي أسسها فردريك الثاني في نابولي سنة ١٢٢٧ ولعلها أجد آثاره . وقد أودع في مكتبة هذه الجامعة مجموعة كبيرة من الكتب العربية وكان من ضمن المناهج فيها دراسة ارسطو وابن رشد . وأرسلت الجامعة نسخاً من تراجم مؤلفاتهما الى جامعتي باريس وكولونيا . فليس من المبالغة اذن في شيء اذا ارجعنا النهضة الايطالية الى هذه الروح العلمية في البحث والتنقيب وهي التي تجلت في بلاط هذا الامير المثقف

واذا استعرضنا تاريخ صقلية في ذلك العهد وتدبرنا ازدواج ثقافتها وموقعها الفريد بين الشرق والغرب خيل لنا ان القدر قد رسم هذه الجزيرة في البحر المتوسط كالبوقة تلتقي فيها مختلف التيارات الفكرية ويشع منها ضياء العلوم . كان يعيش بها جنباً الى جنب عنصر يوناني يتكلم اليونانية وعنصر اسلامي يتكلم العربية وجمع غفير من العلماء يتقنون اللاتينية وكانت هذه اللغات الثلاث شائعة الاستعمال في السجلات الحكومية وتصدر بها المراسيم كما كان الخطاب بها شائعاً بين سكان مدينة بلرم المتعددة اللسان



وفي صقلية ترجم كتاب المجسطى اول ما ترجم الى اللاتينية من اليونانية رأساً . وترجم اوجين الصقلي الذي كان يدعى « الامير » والذي عاش في ابان حكم روجر الثاني وخلفه وليم الاول كتاب « البصريات » المنسوب الى بطليموس من العربية الى اللاتينية . كما اشترك أيضاً في ترجمة كتاب « كلية ودمنة »

واشترك يهود صقلية في نقل الكتب من العربية الى اللاتينية . فمؤلف الرازي الضخم في العلوم الطبية ترجمه الى اللاتينية الطبيب اليهودي فرج بن سليم ونقل عنه نسخ متعددة شاع استعمالها في القرون التالية . وبعض هذه الكتب ترجم مرة أخرى ترجمة أدق وأضبط في طليطلة بالاندلس . إلا أن مشاركة صقلية في حركة الترجمة كانت في المحل الاول من عظم الشأن إذ أن أمراء صقلية من النورمانيين كانوا يحتلون أيضاً الجزء الجنوبي من ايطاليا فساعد ذلك على انشاء جسر انتقلت عليه الثقافة العربية الى شبه الجزيرة الايطالية وأوروبا الوسطى . وهذا التسرب واضح في محيط الفن أيضاً وضوحه في محيط العلوم والآداب فالمأذنة المربعة التي كانت شائعة في شمال افريقيا ومصر ألهمت الطراز الذي بنيت عليه أبراج الاجراس Campanile في الكنائس التي ترجع الى عهد النهضة الايطالية . وحتى بعد ان عادت صقلية الى حكم المسيحية بوقت طويل ظلّ الصنّاع والفنانون المسلمون محتفظين بشهرتهم ورواج صناعاتهم . ومصنع النسيج الشهير الذي أمسه ملوك المسلمين في بلرم ظلّ يعمون ملوك اوربا بأرديتهم المملوكية المزركشة بالعبارات العربية . وفي اوائل القرن الثالث عشر أصبحت صناعة نسيج الحرير أولى الصناعات في عدة مدن ايطالية وأخذت هذه المدن تصدر الى نواحي اوربا المختلفة منسوجات كل مزيها انها تقلد منسوجات صقلية

وكان التفات على الاقشة الشرقية كبيراً حتى ان الاوربي المتأنق لم يكن يعد نفسه حسن الملبس إلا اذا امتلك رداءً شرقياً واحداً على الاقل

والخلاصة ان صقلية كناقله للثقافة الاسلامية الى اوربا تأتي في المنزل بعد الاندلس مباشرة وتسبق الشام ابان الحروب الصليبية

( هذا المقال مستمد من كتاب فيليب حتي « تاريخ العرب » )

في التاريخ فترات كثيرة غلب عليها الخير ، وأخرى غلب عليها الشر . ولكن فترة واحدة منها لم تدم . ومن سوء حظنا اننا نعيش في فترة يغلب الشر عليها . ولكنها الى أمد ومستتهي . ولا ريب في ان أمدها يقصر بقدر ما يبذل كل فرد في سبيل الخير

( برتراند رسل )



# كيف يحفظ الطعام

## بتأثير الحرارة والبرد

الطعام عماد الحياة . لا غنى عنه في حرب أو سلم . والجيش تزحف على بطونها . فقلة زادها كقلة سلاحها وعتادها . وإذا كانت ضرورات الملاحه في هذه الحرب قد حفزت العلماء ورجال الصناعة الى استنباط الأساليب الجديدة في تجفيف الطعام فان القواعد التي يقوم عليها تبادل جانب كبير من مواد الطعام لا تزال قواعد حفظ الطعام بتأثير الحرارة أو البرد لصونه من الفساد وتمكين المصدرين والمستوردين من نقله من بلد الى بلد وحفظه الى أن يطلبه المستهلك . وإذا دخلت في الأيام السوية دكاناً من دكاكين البقالة الكبيرة في القاهرة أو أية مدينة كبيرة أخرى رأيت في نواح مختلفة من الدكان مئات من العلب ، تحتوي على عشرات من أصناف الاطعمة المحفوظة فيها . هنا السمك على أصنافه ، وأنواع من الحساء ، والفواكه والخضروات وغيرها . وإذا كان الدكان منظماً على أحدث الأساليب ، كان له غرفة باردة شديدة البرد ، يحفظ فيها كل ما يسهل تطرّق الفساد اليها . من هذه الغرفة يستخرج لك البائع لحماً من استراليا ، تأخذه فتراه غصّاً كأنه من ذبيح العاصمة وقد يفوقه نقاءً من الجرائيم . في هاتين الناحيتين من دكان البقالة الحديث ، تتجلى القاعدتان اللتان قامت عليهما صناعة حفظ الطعام الحديثة . فالقاعدة الاولى المتمثلة في الاطعمة المحفوظة في العلب ، هي قاعدة استعمال الحرارة العالية . والقاعدة الثانية المتمثلة في اللحم الاسترالي ، هي قاعدة استعمال البرد الشديد

والواقع اننا عندما نفكر في الموضوع ، يتضح لنا ، ان صناعة حفظ الاطعمة ، وهي صناعة حديثة ، كانت من أهم العوامل تأثيراً ، في الأحوال الاقتصادية في طائفة كبيرة من بلدان العالم . بل ان تأثيرها الى حد ما ، ظاهر في جميع بلدان العالم قاطبة . إذ لا يعرف ، كيف يستطيع شعب كبير ، وخاصة شعب صناعي تجمّعت أكبر طوائفه في المدن بعيدة عن الارياض ، أن يتغذّى ، من دون الوسائل العلمية الحديثة ، التي تمكن الزارع والتاجر ، من تعقيم الاطعمة بالحرارة أو تبريدها لحفظها من الفساد . وهذه الاطعمة تشمل الزبدة والفواكه والخضراوات والسمك واللبن والبيض واللحم وغيرها من المواد التي يسهل تحللها أو تطرّق الفساد اليها .



فاختراع هذه الاساليب . مكّن تجار الطعام ، من الاحتفاظ بمقادير كبيرة من اصناف كثيرة منه وفقاً للطلب ، وخال دون تقلب الاسعار تقلباً كبيراً ، بين كثرة العروض منها وقلته . فليح استراليا وزبدتها ، وتفاع كاليفورنيا ، وسمك السلمون من اسكتلندا والولايات المتحدة الاميركية ، وغيرها في متناول يدنا دائماً — في الايام العادية — مع انها ليست العناصر الاساسية التي يقوم عليها غذاؤنا في هذه البلاد

كل هذا انما هو ثمرة الظفر الذي أحرزناه ، على ميكروبات التعفن

أدرك الإنسان البدائي ، ظاهرة التعفن في الاطعمة ، فعمد من عصوره الاولى الى تخفيف اللحم والسمك وتدخينهما وتليحهما . وعرفت الاقوام الزراعية أسلوباً لحفظ اللبن ، بتحويله الى زبدية وجبن . وأدرك الفلاحون ان خير طريقة لحفظ الحبوب من التعفن ، هي حفظها جافة لا تتطرق اليها الرطوبة . وتعلمت ربوات البيوت حفظ بعض الخضراوات . بنقعها في اخل او تخفيفها ، والقواكه بتسكيرها أو حمل شراب منها

فطريقة التخفيف هي الطريقة الطبيعية لحفظ الاطعمة . وهي أقدم الطرق كما تقدم . ذلك ان المكروبات التي تحدث التعفن ، من فصيلة الكائنات الدنية التي لا تعيش ولا تتكاثر من الرطوبة . فتجفيف ما يمكن أن تعفنه أو تدخل اليه الفساد ، يقيه بعض الشيء منها

وتستعمل طريقة التخفيف كذلك في حفظ بعض الخضراوات والثمار . فيجفف العنب والتين في الصيف والخريف للاستعمال في الشتاء وتجفف الباميا والملوخية مثلاً في فصلها ، لتطهى في الفصل الذي لا توجد فيه غضة طرية . وهذا التخفيف يتم بتعريض الثمار أو الخضراوات للشمس . ولكن طرقاً مختلفة استنبطت للتجفيف بالصناعة . كطريقة امرار الهواء الساخن فوق ما يراد تجفيفه . او التجفيف في الفراغ . ولكن العنب الذي يجفف بهاتين الطريقتين ، لا يماثل في نكهته العنب الذي يجفف في الشمس . الا ان طريقة التجفيف قد افرغت خلال هذه الحرب على وجه خاص في قالب جديد بسطنا اساليبه وفوائده في مقال نشرناه في مقنطف

فبراير ١٩٤٣ صفحة ١٣١ — ١٣٦

ويلى طريقة التخفيف لحفظ الاطعمة ، طريقة استعمال المواد الكيميائية التي تقاوم الفساد . والمادة الغالبة في هذا الميدان هي مادة ملح الطعام ، لخص ثمنها . ثم انها متوفرة بمقدورها على قتل الجراثيم ، وبفائدتها للجسم الانساني اذا اخذت في مقادير معقولة معتدلة . فبعض اصناف السمك واللحم يكفي لحفظها ، ان تنقى وتملح . وفي بعض الاحيان تدخن أي تعرض للدخان الصاعد من خشب يحترق . لان في دخان الخشب مادة كيميائية ، تدعى كريوزون تساعد على حفظ الطعام المعرض لها . ومع ان الكريوزون مادة سامة الا ان تعريض بعض اللحوم لها ، لا يجعل هذه اللحوم ، عسرة الهضم على ما يظهر



ومنذ ما اكتشف باستور العلامة الفرنسي الكبير ، ان التعفن سببه فعل الكائنات الحية الدقيقة التي تعرف باسم الميكروبات ، زاد استعمال المواد الكيميائية في حفظ الاطعمة زيادة عظيمة واتسع نطاقه . وأهم هذه المواد المستعملة ، الحامض البوريك ، والبوراكس أو محلولات منهما ، والحامض السيليسيليك ، أو مادة الفورملدهيد أو بعض مركبات الكبريت . فالحامض البوريك والبوراكس يستعملان كثيراً في حفظ اللبن والزبدة والقشدة وبعض أنواع اللحوم والسمك . أما الحامض السيليسيليك ، وهو عقار خطير ويوجد في المشروبات الروحية غالباً ، فيستعمل في حفظ المرببات . والفورملدهيد في حفظ اللحم . وهذه المادة الاخيرة سامة ، ثم انها تتحد بمادة معينة في اللحم فتجعله عسر الهضم

ويقال ان ساكن المدينة ، يتناول في خلال يوم واحد ، وعن طريق الاطعمة المختلفة المحفوظة التي يأكلها ، جرعة كبيرة من الحامض البوريك ، وان ذلك في مقدمة البواعث على تفاقم ادواء المعدة ، وما يتلوّه من تعب الاعصاب

يضاف الى هذا ان استعمال المواد الكيميائية ، يجعل الطعام المحفوظ بها ، وكأنه جديد طازج ، حالة انه في الواقع أخذ يفسد ويتعفن

ولكن استعمال المواد الكيميائية لحفظ الطعام ، أصبح غير ضروري الآن ، لأن العلم الحديث قد كشف طرقاً جديدة لمنع التعفن ، من دون أن تضر بالصحة . ففي الطريقة الاولى تقتل الجراثيم التي تحدث التعفن بالحرارة . وفي الطريقة الثانية يمنع فعلها الضار بالبرد الشديد

\*\*\*

يقال ان مخترعاً فرنسياً يدعى « آبير » Appert كشف سنة ١٧٩٥ طهي اللحم حتى يتعقم ثم تغطينه حتى لا يتلوّث ، فوضع الاساس لصناعة حفظ الطعام الحديثة . وقد كان لهذا الكشف شأن كبير من الناحية الحربية ، حتى ان نبوليون أجازه عليه باثني عشر الف فرنك ، لأنه حلّ له بذلك ، مشكلة إطعام الجيش . وقد استعمل آبير ، آنية من الزجاج والخزف ، لحفظ الاطعمة التي عولجت بطريقته المتقدمة الذكر . ولا تزال آنية الزجاج والخزف خير ما يستعمل لهذا الغرض . ولكن سهولة تكسرها ، وغلاء ثمنها ، حالا دون ارتقاء صناعة حفظ الاطعمة واتساع نطاقها . فلما استنبطوا في أميركا علب الصفيح ، التي يسهل صنعها بالآلة ، ازدهرت صناعة حفظ الاطعمة وأينعت ، وهاهي ذي مئات العلب المرسوفة على رفوف البقالين ، في جميع أنحاء العالم ، محتوية على عشرات أو مئات من الاصناف ، أبلغ شاهد على هذا الارتقاء

والغالب في هذه الناحية من صناعة حفظ الاطعمة ، أن يقدّ اللحم مثلاً قدداً بطول



العلب التي يحفظ فيها ، وترصف القدد في العلب ، ثم تغطى العلب وتلحم ، ولكن يبقى فيها ثقب صغير . ثم تؤخذ هذه العلب ، وتوضع في حجرة خاصة ، وتقبل الحجرة اقفاً محكمًا ، ثم يطلق فيها من الداخل عن طريق صمام ، بخار الماء حتى يبلغ ضغطه داخل الغرفة درجة معينة . هذا البخار يحمي العلب وما فيها تحت ضغط شديد فيميت ما فيها من المكروبات . ثم تؤخذ العلب علبة علبة . ويسد الثقب الصغير الذي فيها ، بقطرة من اللحم المصهور . وإذا لاحظ القارئ إحدى هذه العلب التي تحتوي على الجيوب أو الفاكهة أو اللحم أو السردين ، ظهر له المكان حيث وضعت قطرة اللحم المصهور لسد الثقب على هذا النمط تعد معظم الاطعمة المحفوظة بطريقة الحرارة

ولكن اعداد السمك بهذه الطريقة ، يحتاج الى زيادة من العناية ، لأن تعفنه وتحلله أسهل وأسرع من تعفن الاطعمة الاخرى وتحللها . ففي صناعة حفظ السمك المعروف باسم سمك السالمون salmon يغسل السمك أولاً بماء بارد جداً ، ثم ينقى ويغسل ثانية ، ثم يقطع قطعاً قطعاً بالة خاصة ، ثم يوضع في العلب ، ويعرض لحرارة عالية . بل ان هذه الحرارة تبلغ من الشدة مبلغاً يؤثر في عظام السمك نفسها ، ولذلك عندما يشتري القارئ علبة تحتوي على سمك السالمون يرى العظام مفتتة او تفتتها من أسهل ما يكون . وتعرض علب السالمون على هذا النوال مرتين ، تفحص بينهما خفصاً دقيقاً ، ثم تختم وتلصق عليها البطاقات وتوزع

ولا بد من كلمة في هذا المقام عن التسمم الناشئ عن بعض الاطعمة المحفوظة وهو ما يعرف بالتسمم « التوميني » Ptomaine ويعزى هذا الضرب من التسمم في أقوال بعضهم الى تفاعل يقع بين حوامض الطعام المحفوظ ومعدن العلب التي يحفظ فيها . ولكن العلماء يشكون في مقدرة الطعام المحفوظ على ان يتناول من معدن العلب ، مقداراً كافياً للتسمم ، بل يرجحون ان السم الذي يوجد احياناً في بعض هذه العلب ويحدث اصابات التسمم « التوميني » . سببه عدم تعقيم العلب ومحتوياتها تعقيماً تاماً . وهذا القول يصح على العلب الكبيرة اكثر مما يصح على العلب الصغيرة ، لأن تخلل حرارة البخار الى داخل العلب الكبيرة أصعب كثيراً من تخلله الى داخل العلب الصغيرة . ولا يخفى ان لبعض المكروبات أغشية ، تجعلها منيعة فتحتمل درجات عالية من الحرارة ، وواطئة من البرد ، فاذا زالت الحرارة تأخذ في التكاثر فتفرز سمومها في خلال تكاثرها

أما القاعدة الثانية من قواعد العلم الحديث ، لحفظ الطعام فهي قاعدة التثليج او التبريد ولعل القراء يذكرون فلماً رأيناه في القاهرة من سنوات ، مثل فيه بول موني ، وكان اسمه



في هذا القلم كان پول موني، او الشخص الذي يمثلُه — تاجراً شهيراً من تجار اللحم. وكانت مشكلته في توميع نطاق تجارته — انه لا يستطيع ان يرسل بلحمه بعيداً عن مقر عمله لانه يتعفن ويفسد، الى ان خطر له ، ان يجعل كلَّ عربة من عربات القطارات التي تنقل اللحم ثلاجة قائمة بنفسها تسير على عجلات وراء القاطرة . وبذلك استطاع ان ينقل لحمه الى حيث اراد . وقد كان پول موني في تمثيله عند ما بدأت هذه الفكرة تتضح له من اربع وأعجب ما يكون وليس الغرض من هذا المقال بحث أساليب التبريد والتثليج المختلفة بحثاً ممهياً فالمجال لا يتسع لها ، وحديثها في دقيق لا يصلح فيه الا دراسته في كتب العلماء . ولكن الغرض ان نقول ان أساليب التثليج والتبريد قد اتقنت اتقاناً لا مزيد بعده، وتأثير التبريد والتثليج في اللحم وغيره من الاطعمة التي من أصل حيواني او أصل نباتي ، قد درست كذلك دراسة وافية ، فأصبحنا نشترى في القاهرة — في أيام السلام — لحم أغنام أو أبقار ذبحت في استراليا أو الأرجنتين ، وتفاعاً وموزاً قطعاً في كليفورنيا ، أو فلوريدا ، وزبدة صنعت في أستراليا أو الدنمارك . فالمصانع الرئيسية فيها الثلاجات الوافية ، والسفن والقطارات كذلك ، ودكاكين البقالين . فهذه السلسلة من الثلاجات القائمة على أساس من العلم الحديث تحفظ هذه الاطعمة ، من مصدرها الى ان نقناولها طهيها وأكلها

وقد قرأنا في كتاب علمي ، ان الثلاجة المتقنة تستطيع ان تحفظ اللحم الطري ، اثني عشر شهراً او اكثر ، ثم تخرجه من هناك وتأكله فاذا هو كاللحم الغضّ ( الطازج ) . نعم ان الناس بوجه عام ، لا يزالون متأثرين ، بما وقع في صناعة تثليج اللحم في بدنها من الأخطاء ، فيأثفون من أكله ، ولكن اذا أتيتهم بلحم أسترالي أو أرجنتيني محفوظ وفقاً لأحد أساليب التثليج والتبريد ، أكلوه بشهية ووجدوه سهل الهضم طيب النكهة . وقد عينت من سنوات لجنة في انكلترا ، مؤلفة من رجال العلم ، فأخذت من دكان جزار قطعتين من اللحم احدهما من لحم أسترالي محفوظ بالتبريد ، والاخرى من لحم طازج ، من دون ان تعلم او يقال لها أي قطعة هي اللحم الاسترالي ، وأي قطعة هي اللحم الانكليزي الطازج ، فلم تستطع ان تعرف احدهما من الاخرى ، الا بعد بحث مكثس كوبي . وهذا البحث المكثس كوبي ، لا صلة له بصلاح احدهما وفساد الاخرى ، ولكن اللحم المحفوظ ، تتأثر خلاياه ، ببلورات الجمد التي تتكوّن فيه عند تثليجه فتميّز عن الاخرى

هذا قليل مما نفحصنا به العلم التطبيقي الحديث ، في موضوع غذائنا . والعلم التطبيقي قائم أبداً على العلم النظري ، فلولا دراسة تأثير الحرارة في الميكروبات ، وتأثير البرد فيها ، ومعرفة القواعد العامة اللازمة لصنع الثلاجات واتقان صنعها بأساليب شتى ، لما كان لنا شيء من هذا كله



# عيناك

لعرنانه مردم بك

ضحكت بعينيك الحياة فأرسلت  
عشيت بمرآة العيون فأطبقت  
وترنحت منا القلوب وصفقت  
فوقفت أروي عن عيونك سورة  
في كل لحظ من لحاظك آية  
عيناك أفق واسع عصفت به  
تلاطم الشهوات في أرجائه  
عيناك بحر ليس يسبر غوره  
صور من الأحلام تبسم تارة  
وقف الحب أزاءها متحيراً  
عيناك من قبس الحياة شهابا  
أجفانها وتفتحت اعجابا  
كصريع خمر لو أصاب شرابا  
نفث الصبا فيها هوًى وشبابا  
تغري القلوب وتقتن الألبابا  
حمى الشباب فصيرته عبابا  
غضبي فتقذف أسهما وحرابا  
عجز الحكيم بأمره فتغابي  
وتصد آوة أسي وعتابا  
لا يستطيع النطق والاعرابا

\*\*\*

اني لألمس في عيونك صورة الماضي وعهداً باسماء خلايا  
وأرى الزمان خلال هدبك موقفاً والعمر غصناً والحياة شرابا  
وتطوح بي الاوهام حتى انني لأخال عينك عن صباي كتابا

\*\*\*

ما بال عينك غاض ماء معينها  
أسفاً أتخبو من عيونك جرة  
نفث الأسي في مقلتيك سمومه  
إني وإن لم أجن من ثمر الصبا  
ليسوءني ان تنطوي اعلامه  
وغدت مغاني الانس منك خرابا  
كانت لنفسي الحائرین شهابا  
فغدا الشباب بناظريك سرابا  
الالبكاء المر والأوصابا  
ويحول مغناه الوسيم تسابا

دمشق



# الديمقراطية والاخلاق

للدكتور منصور فهمي بك<sup>(١)</sup>

مدير دار الكتب الملكية المصرية

١ — ﴿تمهيد﴾ يحسن أن نتبين من عبارة «الديمقراطية» مدلولها وحدودها ، ففي تحديد معاني الكلمات خير عون على توضيح الحقائق العملية . وحين يفهم معنى اللفظ المتداول على وجه من الوجوه ، ثم يتغلغل هذا الفهم في قوى النفس المريدة الفاعلة ، فإن أثر ذلك يبدو جلياً في تقدير قيم الحياة وشؤونها . ومن ثمَّ في أخلاق الناس ومسالكتهم تذكر كلمة « الديمقراطية » ، ويتردد صداها في الجماعات ، وحول الامم وقد يختلف ذا كروها وسامعوها في فهم معناها باختلاف طبقاتهم وثقافتهم . حتى انه ليلوح أحياناً للبعض من معناها محاولة اضعاف الفوارق التي فرضتها الطبيعة بين ضروب الناس ، وهياتها فيهم ملابسات الحياة الاجتماعية ، بل لقد يذهب منهم من يحاول محو الفوارق كل المحو الى حد القول بتعميم المساواة فيما يصير الى الناس من أمور الحياة جميعاً وقد يخيّل الى بعض الناس كذلك ان « الديمقراطية » هي اتجاه الى التوسع في معنى الحقوق الفردية ، حتى لينذهب بهم هذا التخيل الى استساغة الافراط في استباحتهم شتى الحريات ، وفكاهتهم من قيود الآداب كلما استطاعوا الى ذلك سبيلاً وقد يبدو لبعض الناس أيضاً ان « الديمقراطية » تؤدي الى الخروج على كل سلطان سواء أروحيّاً كان هذا السلطان كسلطان الديانات والعقائد ، أم مستمداً من الحياة الاجتماعية والنفسية كسلطان الأب والمعلم والحاكم ومن اليهم من ذوي السلطان الذي تفرضه طبيعة الوجود ومهما يكن من تباين الافهام ، على دقتها أو بساطتها ، في تحديد معنى « الديمقراطية » في تخيل حدودها ، بل ومهما يكن بُعد الفهم أو قربها من العلم بها على نحو ما يفقه أهل الذكر وطلاب الحقائق ، فإن فهمها على أية صورة لا بد أن يؤدي الى ما فيه تقوية شخصية الفرد ، وابرازها في ميدان الحياة الاجتماعية مؤيدة بنزعات الحرية والاستقلال ، على انه ليس ينبغي أن يعول في فهم « الديمقراطية » على ما أشرنا اليه مما يجري في سواد الناس ويتناقله الجماهير . ولكن ينبغي أن يعول على ما يدرك المحققون ويطمح اليه المتقنون ممن يتقرون سير الفكر البشري ويتبعون تاريخه في تقديره لمعاني « الديمقراطية » الحققة وصلتها بالاخلاق

(١) محاضرة أُلقيت في الجامعة الاميركية في القاهرة في سلسلة « الديمقراطية والعالم »



﴿ ضروب الديمقراطية والاخلاق ﴾ وقبل أن نخوض في صميم الموضوع يجب ألا نغفل ما هنالك من ضروب شتى من الديمقراطيات وما هنالك أيضاً من ألوان متباينة للأخلاق . فقد توجد ديمقراطية اقتصادية ، وثانية سياسية ، وثالثة دينية . وقد تختلف الديمقراطية السياسية في بعض البلاد عنها في البعض الآخر ، فديمقراطية اميركا قد تغاير ديمقراطية الانكليز وكلتاها مغايرة للديمقراطية في فرنسا ، أو في روسيا ، أو في غيرها من الممالك والأمم . وقد تجد في بعض الديمقراطيات أن اللون الانساني أنصع من اللون القومي ، كذلك الديمقراطية الفرنسية التي تقررت في الثورة ، الفرنسية الكبرى وعلى العكس من ذلك نجد اللون القومي أشد نصاعة في بلاد أخرى . وكذلك الشأن في الاخلاق ، فهي تمتاز في بعض ألوانها على الرغم من وحدة الأسس والأصول فقد تطبع الثقافة الانكليزية اخلاق الانكليز بطابع يميز مسالكهم عن مسالك الفرنسيين ، وقد تطبع الثقافة الاسلامية أهل الاسلام بطابع يتميز عن طابع الغربيين في أخلاقهم أو الصينيين أو أهل اليابان

ونحن في حرصنا على ألا يتشعب الحديث نقصر القول فيما يلوح لنا من صورة محبة للديمقراطية تقارب بين اشتات الناس والطبقات في الثروة وفي بعض متع الحياة ، وتتوافر اخلاق العدالة والغيرية والتراحم والتعاون ، وتتأكد عند افرادها الراشدين أوضاع عقلية ووجدانية تؤهلهم للاشتراك في امور الجماعة التي ينتمون اليها ، وابداء الرأي المستنير في تقدير الصالح العام ، مدفوعين الى ذلك بعاطفة صادقة ووجدان .

وكذلك نقصر القول في صورة من الاخلاق تجتمع فيها الاصول الاولى على ما هو متفق عليه في تعاقب الازمان والعصور ، وفي اختلاف البيئات والشرائع والعقائد والفلسفات . ولعل هذه الصورة من الديمقراطية ليست من نسج الخيال وحده ، فقد استطاعت بعض البلاد الاوربية كسويسرا والدانمارك والسويد والنرويج ان تحقق منها الجانب الكبير . ولعل ما نقصد اليه من الاخلاق المرجوة يبدو فيما هو متفق عليه في الديانات من اخلاق الرحمة والحنان والعدل والاحسان والتعاون والتضامن والتآخي بين الناس . وكذلك في الاخلاق المدنية الفاضلة التي تلازم روح التقدم والحياة الديمقراطية الصحيحة

ولكي نضمن في حصر الحديث حول الديمقراطية ، نجريء في بحثنا بصورة من صور الديمقراطية السياسية التي قد يكون لها أفعال الأثر في تحقيق الصورة المتقدمة ، حينما تحدث هذه الديمقراطية السياسية بأنها حكم جميع الأفراد الراشدين في جماعة ما لشؤون انفسهم وعملهم في سياسة مصالحهم المشتركة اذ يشتركون في هذا الحكم ، ويسومون هذه المصالح . فالجماعة الديمقراطية توجب اذن ان يضطلع الجميع بمهام الحكم مباشرة او بالواسطة ، واذن فهي



تدع لهم ان يضعوا النظم والقوانين والمناهج التي يريد افراد الجماعة او أكثرهم انتهاجها لصالح المجموع ، ويرون في تلك المناهج ما يرضيهم لأنه فيها الحق والعدل والسعادة والخير في هذه الحياة الدنيا . ويستخلص مما تقدم ومما نتخلله من صورة الديمقراطية المعقولة ان أشد الأخلاق صلة بها هي تلك التي تعين على تحقيق المصلحة العامة المشتركة التي تجمع بين خير الأفراد المتضامين في وحدة من الوحدات الاجتماعية فما هي إذن أهم الأخلاق التي يجب ان يتخلق بها الأفراد جميعاً ليساهموا في خير المجموع ؟

لعلها كثيرة، فمنها خلق الغيرية والعدل والرحمة والسخاء والقناعة والواجب واتقان العمل وغير ذلك . وأحسب ان جماع تلك الأخلاق اللازمة للديمقراطية هو العدل والغيرية

ومما يجب ان نلتفت اليه هو ان هذه الاخلاق ليست كلها من عمل الفطرة والطبيعة ، فكثير منها من كسب التربية والارشاد وتوجيه الحياة الاجتماعية ومن ثم فالصلة قوية بين التربية والاخلاق وبين تغلغل الحياة الديمقراطية في أمة من الأمم . لأن الفرد الانساني الذي يتربى من المهد الى اللحد وتستقيم نظراته في الحياة بما يصل اليه من التربية والتهذيب ، وتتلون أخلاقه طوعاً لمختلف المؤثرات — هذا الفرد خليق بأن تنسجم أخلاقه التي ينشأ عليها مع مطالب الحياة الديمقراطية التي تنتهي على الجملة الى التوسع في تقدير حقوق الفرد وتقرير واجباته أصح تقدير وتقرير

﴿ اكتساب الخلق الديمقراطي ﴾ وما دمنا قد قررنا ان أكثر الأخلاق اكتسابي ، فلنبحث إذن في خير الطرق والوسائل التي يغتم الفرد بها خلق العدالة وخلق الغيرة . وليس من شك في ان بيئة البيت والاسرة والقوة الحسنة ، كل ذلك له عظيم الاثر في تلوين أخلاق الفرد ، ولكني أتجاوز الآن هذه البيئة البيئية لأخطو الى البيئة المدرسية وأثرها في الأخلاق ما دامت مصر قد أصبحت تقدر كما يقدر غيرها من البلاد الراقية قيمة التعليم العام والتربية وحق أبنائها فيهما ، وما دامت تحاول سوق ناشئتها جبراً الى هذا التعليم العام منذ فتوة السن لكي تهيم هذا النشء للقيام بالواجبات يعملون لها في جماعة متضامنة ووحدة متمسكة . فالواجب الأول على المدارس إذن أن تثقف العقول بقدر من العلم والمعرفة الصحيحة الثابتة الواضحة تعين الافهام على الاصابة في الحكم على أمهات المسائل الاجتماعية والحقوق الفردية . وفي الوقت نفسه تؤكد هذه المدارس في نفوس الناشئين بمختلف طرائقها في التربية قيمة الفضائل اللازمة للديمقراطية وتعمل على ان تروضهم عليها بشتى الوسائل

ولكي يكون الفرد في أمة ما غيرياً عادلاً يجب أن يفهم أولاً معنى هذه الغيرية ويدرك قيمة ذلك العدل . وهل يفهم ذلك اذا خلا عقله من ثقافة ذهنية واسعة وعلمية ناصعة ،



تعين على تقدير ما ينبغي تقريره من هذه الاخلاق ؟

﴿ التربية العقلية والاخلاق ﴾ فأي ضروب العلم أعود بالنفع لتقدير الغيرية والعدل ؟ وأية المعلومات أ كفل بخلق ذهن منطقي صحيح الإدراك يهيمن على مسلك الفرد ويهديه في حياته الاجتماعية العامة ؟ وأية الدراسات أجل أثراً في تهيئة الفرد لحسن التفكير وتنوير البصيرة في ميادين العيش ؟ أنه بالعقل وحسن التفكير يتسنى للمرء ان يميز بين قيم الغايات التي يتخذها أهدافاً له ، وبالعقل وحسن التفكير يتعرف المرء أقرب الطرق وأيسرها الى ما يبلغه هذه الغايات والأهداف . وإذا كان الخلق يستخدم في التزام السبيل الموصلة الى الغاية فان العقل والتفكير هو المرشد الاول الى هذه السبيل . فاذا كانت مكانة العقل من الخلق على هذا النحو فأول الواجبات اذن أن يتربى العقل ويهذب بحيث ترتفع عنه كل غشاوة تحول دون حسن التمييز . وعلى هذا يجب ان تكون التربية العقلية حائلة بين الفرد وبين كل ما يحجب عنه معاني الحق والعدل والغيرية . وعلى الجملة تكون التربية منطقية علمية تبني على ما لا يقاوم من اليقينيات والملاحظات والتجارب المقتنعة والحق الواضح وحب الحق الواضح

ولعله يبدو عسيراً ذلك الطموح انى صقل عقول الافراد جميعاً في أمة من الامم ، وتوفير الصحة والسلامة في فطرم وأفكارهم ، بحيث يلتزمون الحق والعلم الصحيح والعدل والغيرية ، مما تطمئن به الحياة الديمقراطية اطمئناناً وتأكيد . ولعل مرجع ذلك العسر الى انه ليس من الهين أن يكون لجميع الافراد حظ متساو من نتائج العلم والعرفان يبصرهم بمسائل الاجتماع ومصالح الحياة المعقدة المتشابكة . ذلك لأن الناس ليسوا سواء في الذكاء ، وان كانت حظوظهم منه متقاربة ، وقد تكون الملابس المحيطة ببعضهم مغيرة لما يلبس البعض الآخر في تهيئتهم لقبول النتائج العلمية والاقبال عليها . فمن شؤون صحية تداخل الفرد ، الى شؤون نفسية أو اقتصادية تحول بينه وبين ما يراى له . على انه اذا كان التساوي عسيراً بين مختلف الافراد في الذكاء وتحصيل العلم وتنوير البصيرة وفهم الأمور الاجتماعية العويصة ، فان من اليسير أن يتقاربوا في تقدير ما يحجب به اهل الذكر والخبرة من الآراء . فالحياة الاجتماعية الراقية تمتاز بتنوع في الأعمال وتزايد في الاختصاص ، فان قدر لكل فرد من الافراد في الحياة الديمقراطية أن يطمئن الى عمل المختصين فيما اختصوا به ، كانت النتيجة أن تقدر الجماعة قيم النشاط في مجموعها وأن يتلاقى الجميع في حسن تقدير هذه القيم التي تعود على مجتمعهم بالخير والتوفيق . وهنا ترسخ فكرة التضامن بين شتى الطبقات وذوي الاختصاصات ، ويتأكد شعور الافراد بحاجة بعضهم الى بعض ، ويتواصلون مع تفاوت مراكزهم في الفهم وتباين وجهاتهم في الأعمال ، وتظهر إذن حرمة النظام . وكل ذلك من أجلى مظاهر



الديمقراطية الصحيحة التي تنتهي بالفرد الى أن يكون للجماعة، وتنتهي بالجماعة الى أن تكون للفرد  
 \* مختلف المعلومات والاخلاق \* ورب سائل يسأل ما هي المقادير العلمية التي أشرت الى  
 ضرورة تلقينها لتكوين الفكر المستنير في بيئة ديمقراطية ، ولانشاء جماعة تلتقي في المعرفة  
 العامة الى حد مشترك بين الجميع ، دون أن يكون جميع أفراد تلك الجماعة علماء مختصين أو  
 خبراء متفقيين . والجواب عن هذا السؤال يقحمني في ساحة التربية حيث تتلاطم الآراء  
 والزعزعات ، وتتنازع التوجيهات والارشادات خشي أن ألمع دون تفصيل الى ما يجب أن يكون  
 عليه الفرد من ثقافة عامة يمكن أن تستخلص مما يلحق في التعليم الابتدائي وبعض ما في التعليم  
 الثانوي ، بشرط أن يتخذ لونا جديداً من العرض والايضاح والتيسير ، فاذا أضيف الى هذا  
 ثقافة المجالات والمحاضرات العلمية وغيرها من النشرات والاذاعات التي تبصر الناس بحقائق  
 الحياة ، أمكن أن يجتمع من ذلك كله غذاء صالح لتنمية ذهن الفرد وحبه للحقيقة وتعويد  
 احترام الحق والعدل مما يمكن فيه الخلق ، ويجعله صالحاً للقيام بقسطه في محيط ديمقراطي  
 رشيد يتداول أهله الرأي في حرية واستقامة وسداد ، فتعطي الجماعة متسائدة الى تحقيق  
 آمالها الجسماء في تطور طبيعي جدير بالديمقراطية الحقبة البعيدة عن تيار الثورات الجارفة

\* الدين وتربية القلب \* واذا كان في تعميم التربية العقلية ما يعين على الحق ومن ثم  
 على الخير ، حين تعد العقول لقبول الاحكام الصحيحة ، فانه لا بد مع ذلك من تربية القلب  
 والوجدان . والحديث في تربية الوجدان يطول ويتشعب كما يطول الحديث في التربية العقلية  
 ويتشعب ، حالة ان المقام مقام إيجاز وحسي القول بأن الدين كان منذ القدم أكبر مستودع  
 تستمد منه التربية الوجدانية السامية . ففي تاريخ الديانات أنها جميعاً تنهى عن العدوان  
 الشخصي على اختلاف صوره ، وتحض على النظام والاستقامة ، وتوجه الى محبة الغير  
 والاحسان والتراحم وغير ذلك من الفضائل التي أجمعت عليها شتى الديانات ، فيجب ان  
 تجري هذه الفضائل في النفوس مجرى الدم في العروق ، وتسيطر على الزعزعات حيث تسيطر  
 العقائد على توجيه الافعال . وان شيوع هذه الفضائل لازم للانسانية ديمقراطية وغير  
 ديمقراطية ، ولكن هناك فضائل أوجب وألزم للصيغة الديمقراطية وهي ما اصطلح على  
 تسميته بالفضائل المدنية التي ترمي الى تمكين صفته الاجتماعية بين الناس وتسويد خلة التضامن  
 بين الافراد حين يعيشون جميعاً خيراً جميعاً . فادراك ذلك إدراك للغيرية التي استوجبناها  
 للحياة الديمقراطية الصالحة

\* الفضائل المدنية \* ويلوح لي انه يتحتم في تقدير معنى الغيرية ان يعرف الفرد أولاً  
 حقه الشخصي وواجبه حيال نفسه ، وذلك يقتضي استكمال شخصيته بالتربية الاستقلالية



التي تؤهل نمو الذات بما فيها من قوى ومقدمات واستعدادات خاصة، لخير المجتمع ولحاجات التضامن الاجتماعي، ولهذا يجب أن يسود تقدير قيمة الحرية ويسود خلقها عند الافراد، ويجب أن ينعم في ساحتها هؤلاء الافراد ويتمتعوا، على أن يحسنوا كيف يكون الوقوف عند حدود هذه الحرية، لأن الحرية المطلقة لا وجود لها ولأنها وهم وخيال، أما الحرية السليمة فهي مقيدة بالحق والعدل وتجنب الهوى والعمل للواجب والصالح العام، ومقيدة قبل كل ذلك وبعده بالغيرية التي هي الفضيلة المنشودة في الحياة الديمقراطية

ومتى كان الفرد المثقف ثقافة مقبولة في جماعة ديمقراطية ذا شخصية مستقلة حرة، دون أن يتجاوز حدود هذه الحرية التي يبيحها هدى المنطق وفطرة الله، فانه يصبح قوة من القوى العاملة وهمة من الهمم الوثابة في الجماعة. وتحتاج الهمم والقوى العاملة المتوثبة الى تنسيقها في ملك النظام واخلاق النظام. ومن مقتضيات النظام خلق الخضوع للقوانين وما يشبه القوانين من سيطرة القوانين المحترمة. وكذلك مراعاة الحرمات لذويها واعطاء كل ذي حق حقه، وكذلك خلق الوطنية، حين تكون الوطنية تآلفاً وتجمعاً بين الافراد المتلاقين على مصلحة جماعة ما في بيئة ما، وهوى يربط الفرد بوطنه ويربط الوطن ببنيه، دون أن يشاب ذلك بكراهة وبغضاء للجماعات المتغايرة في البيئات المتغايرة، لأن الوطنية المشوبة بالكراهية والبغضاء وطنية مزيفة تشبه أنانية الانانيين. وفوق ذلك لا بد من أخلاق أخرى تمت الى هذه الاخلاق المدنية لا ينفصح المجال لتفصيلها الآن

﴿ لزوم الدين للديمقراطية ﴾ ويبدو لي في خاتمة القول ان الهدايات الخلقية الكبرى التي وصلت اليها من طريق الديانات، أراها مطابقة لمقتضيات المنطق المنزه عن الشوائب، فهي اذن جديرة بكل رعاية وعناية واحترام، وان في المسيحية والحمدية وآثارها والمأثور من تراثهما الخلقي ما يتناسب مع مطالب الديمقراطية المعقولة، حين تتجه الديمقراطية الى التوسع في الحريات لمصلحة الجماعة وحين يحد الدين هذه الحريات طوعاً لما يتطلبه الصالح العام. فالديانات تأمر بالتواصي بالحق والعدل والتراحم والنظام وما الى ذلك من فضائل، والديمقراطية الحقبة السليمة لا تقوم الا على مثل هذه الاخلاق. وبما ان الدين مرانة للعقيدة فان الديمقراطية تقوى وترسخ كلما كانت متصلة بالقلب والعقيدة

ويلوح لي أن مصر تكسب كسباً عظيماً اذا اصطبغت اتجاهاتها الديمقراطية بصبغة الدين والاعتقاد، فصر صاحبة ماضٍ ديني طويل المدى في أغوار التاريخ، وللدن في الامة المصرية مكانة موموقة. ولعل الديمقراطية ترتفع كلما تسامت الى قدس العقائد، وامتدت الى كنف الله الذي هو جماع كل عدل وخير وحق ورحمة



# السفسطائيون اليونان

للدكتور عثمان امين

﴿ تمهيد ﴾ : عرفت بلاد اليونان في القرن الخامس قبل ميلاد المسيح عصراً من عصور العظمة والازدهار ، لا من الناحية السياسية فحسب ، بل من الناحية العقلية أيضاً . كان ذلك العصر فتحاً جديداً في تاريخ الفكر البشري : امتيقظ فيه الانسان من سباته العقلي ، فنحسّ عن ذهنه كابوس الخيالات الاولى التي كانت اشبه بخطفة المرضى وتخريفات الاطفال ، وزال عن نفسه ما كان يساورها من فزع وهلع إزاء مشاهد الطبيعة وأحداثها ، تلك المشاهد التي كان يشعر بمعجزه عن السيطرة عليها فضلاً عن الاحاطة بها

ولاول مرة في ذلك العصر تحقق الانسان ، عن وعي وشعور ، أنه هو الناظر المتفرج على مشاهد الكون كله ، وتبين ان العالم المعقد بأسره موجود بالقياس اليه ، وعرف ان له عيناً ليرى ، وأذناً ليسمع ، ويداً ليعمل ، وعقلاً ليتدبر ، وأنه اذا تهياً له من الصبر والاقدام وبذل الجهد ما يدعم به قواه ، حقاً له ان يطمع في الاشراف على الاشياء ، فيضبط جريانها ، ويوجهها الى تحقيق أسمى ما يصبو من غايات

كان ذلك العصر أول دوي للمذهب الانساني الحديث ، وكان ذلك من بعض الوجوه أعظمها لأنه كان أبسطها وأبعدها عن الكلفة وأقربها الى الحرية ، وأقلها تأثراً بالقيود والسدود

١ — ﴿ خصائص الوسط الذي نشأت فيه السفسطائية ﴾ : كانت الفلسفات اليونانية الاولى بجرأ فاض بالمذاهب والآراء : فهذا « هرقليطس » يقول ان كل شيء في الكون دائم التغير والجريان ، وذاك « پرميندس » قد أنكر الحدوث والصيرورة وقرر انه لاحقيقة هنالك الا للموجود الثابت الواحد الباقي ، في حين أن « ديموقريطس » قد وجد في مذهب الجزء الذي لا يتجزأ حلاً وسطاً بين التغير والثبات

وكان كل صاحب مذهب او مقالة يعلن ان آراءه هي عين الحق . وكان في كل ذلك ما يدعو العقول الى الحيرة والشك ويبث في النفوس البلبلة والاضطراب

ولم تكن حال اليونان السياسية أقل إثارة للتشكك من حالها العقلية : فقد ذهبت



الارستقراطية ، وأخذت تحل محلها الديمقراطية ، وبدأت تضع من نفوس الناس حرمة القانون ، وانقضى معها نفوذ الآباء والأجداد ، كما ضاعت سيطرة العرف وهيبة التقاليد والعادات . وانبسط جاه المهرجين والزعماء الشعبين ، وذاعت شهرة الخطباء وذوي المهارة في التأثير في نفوس الجماهير

عاش السفسطائيون في أثينا ابان ذلك القرن ، فأصابوا من النجاح حظاً عظيماً . وتعليل ذلك غير عسير : فلقد كانت تلك الجماعة السفسطائية تزدرى البحث في الميتافيزيقا الخالصة وتنفر من النظر في طبائع الاشياء واصولها الاولى . ولعل في هذه النزعة ما يجتذب نفوس الاثينيين الذين كان يعينهم تدبير المدينة اكثر مما يعينهم الوقوف على كنه الطبيعة ، وتعنيهم الاخلاق والسياسة اكثر مما يعينهم العلم المحض والنظر العقلي الصرف . ونستطيع ان نتيقن هذه الظاهرة عند فلاسفة اليونان أنفسهم : فان ميتافيزيقا افلاطون ذات اتصال وثيق بالاخلاق . وأرسطو هو صاحب العبارة المشهورة : « الانسان حيوان سياسي » ( أي مدني ) . وهذا الوصف الأرسطاطالي ينطبق خير انطباق على الاثينيين بوجه خاص : فقد كانوا شعباً مشغولاً بالسياسة ، تبهروهم الفصاحة ويسحروهم الاستدلال الدقيق ، ويستهوهم حب الجدل ، ويروقه

النقاش والتحليل والتقسيم

والحق لقد كان وجود السفسطائيين مطابقاً لميول الناس وحاجاتهم في بلد يستطيع كل مواطن من أهله ان يكون له نصيب فعلي في الشؤون العامة ، وليس يدين ببسطة نفوذه فيه الا الى ما أوتي من ملكة الكلام ، بل يريد كل فرد فيه ان يعلن على رؤوس الاشهاد مواهبه وفضائله الخاصة التي يستطيع بها قيادة حياته وحياة الآخرين

وقد نستطيع ان نلخص فيما يلي خصائص الوسط الاجتماعي اليوناني في القرن الخامس قبل الميلاد : توثب وحماسة ، وتقلب في الالهواء ، واشتعال في الفكر ، وشوق الى الحياة ، وطمع في الرأسة ، وزرع الى الحرية ، وتطلع الى المعرفة ، مضافاً الى ذلك كله مرونة عقلية باهرة ودقة ذهنية نافذة

٢ — السفسطائيون : غير ان السفسطائيين لا يؤلفون فرقة . بالمعنى الصحيح للمدرسة الفلسفية ، وليس لهم مذهب مشترك محدد مرسوم ، على نحو ما نجد مثلاً في المدرستين الرواقية والايقورية ، بل السفسطائيون قوم يحيئون من جميع المدارس اليونانية الفلسفية . ولكن الانصاف يقتضينا ان نلاحظ مع ذلك ان تعاليم السفسطائيين كان يجمع بينها غرض واحد . وغرضهم قبل كل شيء غرض عملي : هو تعليم « الخير » ، وهم يفسرون ذلك على معنى القدرة على تدبير الحكومة والاسرة تدبيراً مستقيماً



ولما كانت الحاجات التي يسدها هذا النوع من التعليم هي حاجات جميع المدن الديمقراطية فقد وجب ان يتنقل هؤلاء السفسطائيون من مدينة الى مدينة ، يجوبون البلاد اليونانية ، ملتصقين التلامذة والمستمعين ، مغرمين بالهتاف والتصفيق والتهليل . . . . .  
وكان السفسطائي يستوفي على التعليم أجراً ، مثله في ذلك مثل صاحب أية صناعة أو عمل .  
وربما كان بعض السفسطائيين يقيس نفوذه وتأثيره الروحي بمقياس الربح الذي تدره عليه أجور دروسه وكثرة عدد تلاميذه . وهذا التكسب من العلم هو الذي أثار على السفسطائية سخط أفلاطون وأرسطو من بعد

٣ — \* منهج السفسطائيين وموضوع بحوثهم \* أما منهج السفسطائيين فيرجع في صميمه الى المناظرة والجدل ، ومعارضة الرأي بالرأي ، ومقارعة الحجة بالحجة . وإذا كان مقصد السفسطائي ان يعلم تلاميذه ومستمعيه أموراً تنفعهم في الشؤون العامة والخاصة ، وان يلقنهم النصائح والارشادات ، والوسائل التي يتمكنون بها من التفوق على الأقران والغلبة على المنافسين ، فلم يكن بد من تعليمهم كيف ينقدون آراء الغير ، ويناقشون الحجج التي يدلي بها الخصوم . ولذلك كان مبدل السفسطائي في دروسه إما ان يلقي خطبة ضافية ، وإما أن يدلي بأعتراضات على آراء غيره ، أو يوجه الامثلة والاستجوابات الى تلاميذه ومستمعيه وكثيراً ما يلقي السفسطائيون الخطب الحافلة التي هي في منزلة نماذج لما يستطيعون القيام بتعليمه في شتى الأغراض والموضوعات . فتراهم يخوضون تارة في مسألة من المسائل العامة ، فلسفية كانت أو سياسية . وتارة يمتدحون أهل مدينة ما ، أو يرثون عظيماً من العظماء . وقد يتناولون موضوعات عادية أو تافهة : فيخطبون مثلاً في مدح الفيران أو ديدان الحرير وما الى ذلك

ومن أمثلة الأغراض التي كان يخطب فيها السفسطائيون اليونان ما نجد في رسالة صغيرة ألفها سفسطائي مجهول ، ويرجع عهدها الى القرن الخامس قبل الميلاد . وتكلم فيها على تسعة من الموضوعات التي اختلف فيها نظر الفلاسفة : كالخير والشر ، الحسن والقبح ، العدل والجور ، الحق والباطل ، الحكمة والسفه ، العلم والجهل ، العلم والفضيلة هل يلقتان ؟ هل يقام القضاء بالقرعة أو بحسب الكفاية ؟ أقدر الناس على سن القوانين وتطبيقها هو صاحب الجدل لأنه يعرف جميع النقائص بين الآراء ، فن تقوية الذاكرة أجمل المخترعات

تلك أمثلة للموضوعات التي كان يخوض فيها خطباء السفسطائيين عند اليونان ( وهي شبيهة بما نجد في كتب الجاحظ وغيره من الاسلاميين من تفضيل العرب على العجم أو تفضيل البيض على السود الخ . . . . . ) ولعلها تشبه ايضاً موضوعات المناظرات التي يقيمها الجامعيون المعريون في



هذه الأيام للبحث في مسائل من قبيل : هل يصلح المجتمع اذا تولى الشباب قيادته ؟ أو الثورة على المدينة الحاضرة شرٌّ على المجتمع الانساني الخ

فالسفسطائي قبل كل شيء خطيب ، يعلم الناس الكلام الجيد أو الكتابة الحسنة الرشقة في جميع الشؤون والمقاصد الممكنة . ولكن ممارسة هذا الفن الكلامي في جميع الأغراض يتطلب معرفة واسعة . ويظهر أن من السفسطائيين من يدعي المعرفة بصناعات كثيرة فأننا نقرأ في إحدى محاورات أفلاطون عن هيبياس أنه حين قدم الى اوليمبيا أعلن أن ما يرتدي من ثياب وما يملك من أمتعة جميعها أشياء من صنع يده : رداؤه وعباءته وحزامه الموشى ونعلاه وخاتم أصبعه ، حتى فرشاة حصانه <sup>(١)</sup>

وعلى كل حال نجد السفسطائيين في لغة القرن الخامس واوائل القرن الرابع قبل الميلاد يشبهون من يسميهم ديكرات في عصره « بالعلماء » ، يعني رجالاً يُعَدُّون قوَّامين على الحكمة أو إخصائيين ، سواء أُمُوسيقيين كانوا أم رياضيين أم أطباء أم معلمي ألعاب رياضية أم « شعراء برابة » ، قد مهروا في صناعة من الصناعات فهم يتصدَّون لتعليم الغير إياها

٤ — ﴿ انسانية السفسطائيين ﴾ كان السفسطائيون ينشدون ثقافة « انسانية » وعقلية تجعل من الانسان مقياساً لجميع الأشياء ، وترى عدم الاشتغال إلا بالأمور الانسانية ، أعني التي تهتم الانسان خاصة . ويقول بروتاجوراس في ذلك : « أما الآلهة فليس في وسعي أن أعلم أُمُوجودون هم أم غير موجودين ، يحول دون علمي بذلك موانع كثيرة : غموض الموضوع وقصر العمر » <sup>(٢)</sup>

والسفسطائيون انما يلتمسون الانسان بوجه عام ، من غير اعتبار لما يفرق بين البشر عادة من جنس أو لغة أو دين . ويروى ان « هيبياس » كان ينظر الى الناس جميعاً نظره الى « الاقارب وأهل البيت الواحد ، وهم كذلك بالفطرة ان لم يكونوا بمقتضى القانون » <sup>(٣)</sup> والخالصة انه في حين ان الفلسفة عند الفلاسفة الاقدمين كان مركزها الطبيعة أصبح مركزها عند السفسطائيين الانسان نفسه . فنظر السفسطائيين — كما قال الاستاذ « روبان » — أشبه بمحاولة أو وضع حجر أساسي لبناء فلسفة انسانية جديدة بأوسع معاني لفظ الانسان . والسفسطائيون ، وبعدم مقرات ، أهم من عمل على احداث هذا الانقلاب في توجيه الفكر وجهة انسانية

٥ — ﴿ السفسطائيون والشكك ﴾ خلط بعض الكتابات بين السفسطائية والشكك . وقد نستطيع ان نعد السفسطائيين شكَّاكاً من حيث أنهم متفقون على انكار ما يسميه



(١) افلاطون : هيبياس الثاني ٣٦٨ ب د (٢) ديوجانس اللايرسي : ك ١٠ ف ٥١

(٣) افلاطون : بروتاجوراس . ص ٣٣٧ ج



الفلاسفة « بالحق المطلق » أو « بالخير على الإطلاق » . اذ الحق والخير عند السفسطائية أمران نسبيان ، وليس كذلك في ذاتهما وطبيعتهما . فما هو خير فبالنسبة للانسان ، وما قد يكون خيراً في ظرف لا يكون كذلك في ظرف آخر . وعلى كل حال كانوا يرون ان الانسان مقياس لجميع الاشياء ، وان الاشياء « هي حق عند من هي عنده حق ، وهي باطل عند من هي عنده باطل » . وعمدة ما ذكروا من اعتراضات هو اختلاف الحواس في المحسوسات <sup>(١)</sup>

والشكك يتوقفون عن الحكم على الاشياء . في حين ان السفسطائيين يتكلمون في جميع الأمور ، ويخوضون في كل مسألة ، ويتعرضون لكل رأي ، ويزعمون القدرة على المعرفة في كل موطن على ان الشكك اصحاب مذهب مرسوم . هم يطلبون الحقيقة ، لكنهم يذهبون الى انهم لا يستطيعون الوصول اليها . والسفسطائيون — كما قلنا — ليس لهم مذهب معلوم يدعون اليه ، ولا مبدأ مرسوم يناضون عنه . وأكبر ما يعينهم هو ان ينشئوا من تلامذتهم وأتباعهم خطباء ذوي فصاحة ولسان ، وسياسيين أهل حذق ومرونة ، وأصحاب جدل يتقنون تأييد كل قضية والانتصار في كل موقف . فلا عجب أن يكون السفسطائيون قوماً لا يحفلون بالحق من حيث هو ، وان يكون شأنهم في ذلك شأن أغلب الخطباء وطلاب الشهرة في كل زمان : ومن كان همه التأثير في أكبر عدد من الناس من أيسر سبيل خسبه ان يوههم بصدق ما يقول ، وأن يوقع في نفوسهم غلبة ظن ، وان يجعل رأيه لديهم شديداً بالحق

٦ —  الحملة على السفسطائية  لكن هذه الحركة الفكرية التي لا يُنكر شأنها في تاريخ الفلسفة اليونانية كان لها فيما بعد عواقب وبيلة . فقد أفضت في اوائل القرن الرابع قبل الميلاد ، من جهة الاخلاق والسياسة ، الى قيام مذهب الكلبين الذين لا يحفلون بالأوضاع والتقاليد

ومن جهة اللغة أفضت الى تغليب اللباقة اللفظية على الفكر الصحيح . وربما كان السفسطائيون ممن شجعوا الميل الى الخطب الرنانة ، والأسلوب المزركش ، ورص الكلام رصاً يحدث في النفوس وقعاً وقيتاً وان كان لا يؤدي معنى واضحاً ذا قيمة وقد يكون من نتائج هذا الانقلاب السفسطائي أنه أدخل فلسفة جديدة إما جدلية صرفة وإما نظرية مجردة ومنطقية محضة . ثم انه أضرب بتطور العلوم التجريبية التي اتجهت اليها بحوث الفلاسفة الطبيعيين

والفكرين يأخذون على السفسطائيين عيوباً كثيرة أخرى ، فنقدوا آراءهم وزيفوها ، كما هاجمها من قبل افلاطون وارسطو . ومن الباحثين الالمان من ذهب الى أن السفسطائيين



قوم يمثلون من نسميهم في لغة عصرنا بحزب « اليسار » : فهم دائماً ثائرون على الاوضاع في الاخلاق او في السياسة او في الدين

٧ — الدفاع عن السفسطائية \* ولكن السفسطائيين وجدوا مع ذلك من تولى الدفاع عنهم ولا سيما بعض فلاسفة الانكليز وعلمائهم (مثل فرديناند كانتج شلر) : فقد بينوا ما كان يتحلى به جورجياس وپروتاجوراس وپروديكوس من خصال الصدق والامانة والشرف، ووصفوا ما كان لهيبياس من سعة العلم، وما كان لجميع افراد هذه الطائفة من حيطة وحكمة اذ انصرفوا الى الاخلاق والسياسة، معرضين عن المسائل الطبيعية التي يعسر حلها ووصف أولئك العلماء فضل السفسطائيين على السياسة إذ أعلنوا قدرة الانسان وحرية، ونادوا باستقلاله عن الاوضاع والتقاليد التي ترهق كاهله، ذاهبين الى أن القوانين الوضعية هي من اختراع الناس وليست أموراً طبيعية، فهي الى حد ما اشياء تحكية مصطنعة، فيجب أن تكون قد استهتت بمحدودة

ومن المدافعين عن السفسطائيين من يذهب الى أنهم أفادوا فن الخطابة والكلام عند اليونان فوائد جمة : وان فصاحة توسيديد<sup>(١)</sup> وديموستين<sup>(٢)</sup> مدينة لهم بالشيء الكثير

٨ — السفسطائيون ما لهم وما عليهم \* مهما يكن في حجج المدافعين والناقدين من حق فليس يسعنا الا أن نلاحظ أن من مآثر السفسطائية أنها قد أيقظت الناس من نعاسهم الفكري واطمئنناهم الى الاعتقاد المألوف والعادة الجارية، وبعثتهم الى الشك النظري والشك العملي . ثم انها قد ساعدت يقيناً على تربية ملكة أدبية أو ذوق عام في النقد لم يكن للناس عهد بهما من قبل . لكن اكبر ذنوبها — في نظرنا — هو قلة مبالاها بالحقيقة، وبعدها عن روح البحث المنزه عن الهوى، والمقرون بالامانة والصبر

ونأخذ عليها كذلك جريها وراء شغشقة اللسان، وحصر عنايتها لا في المعرفة بل في الاقناع، وميلها في كل شيء الى المظهر، والاثر الخارجى، والمنفعة المباشرة العاجلة . ان صح أن للسفسطائيين مدرسة فهي مدرسة ينقصها الحد الفلسفي والامانة العقلية . فلا عجب ان روحها هذه قد ألحقت بالعقلية اليونانية أضراراً كثيرة . ولا شك ان شعبية بلادنا ليست بحاجة الى مثل دروس السفسطائية في « الوصولية »، وعبادة القوة، والتماس النجاح بأية وسيلة . وجميعها صفات لا توافق خلق الفيلسوف

( جامعة فؤاد الاول )

(١) Thucydide اكبر مؤرخي اليونان . مصنف كتاب : تاريخ حرب البلوونيز . هو مؤرخ فيلسوف يتوخى الصدق وله اسلوب قوي سريع ( ٤٦٠ — ٣٩٥ تقريباً قبل المسيح )  
(٢) Démosthène اكبر خطباء اليونان على الاطلاق ( ٣٨٤ — ٣٢٢ ق . م . )



## جمهورية حيوانات

لنقولاً الحداد

رووا ان الدجاجة قالت للحدأة ذات يوم : بالله تعلميني التحليق في الجو مثلك لكي أسلم من غزو الثعالب وبنات آوى . فانها تسطوكل يوم علينا وتروعننا وتخطف منا ما تستطيع حمله فقالت الحدأة : ليس الطيران علماً يا عزيزتي وانما هو جناحان طويلا ن عريضان . وانتن طائفة الدجاج فقدتن طول الجناحين وعرضهما منذ اعتمدتن في رزقكن على الانسان : على اني أرى ان حيلة « فرق تسد » قد تنقذك أحياناً من أنياب الثعالب والذئاب

قالت الدجاجة : ما هي حيلة فرق تسد ؟

قالت الحدأة : سأعملها أنا وأريك

ومضت الحدأة ورأت ذئباً فسألته : كيف الحال يا صاحب

فقال : جوع ولا شبع . وتعب ولا راحة . أقضي الليل بعد النهار في السعي وراء دجاجة او بطّة ، حتى اذا ظفرت بها اضطرت ان أقدمها الى الأسد ، لكي يمنحني منها ولو عظمة والا فيسحقني سحقاً

فقالت : ان الأسد ، ملككم طماع ظالم طاغ . فلماذا لا تخلعونوه وتؤلفون منكم جمهورية تقسم الرزق بينكم بالعدل . فلا يذهب الجانب الاكبر منه الى الملك ووزرائه وأعوانه وهم لا يسهون ولا يتعبون في تحصيله ؟

— والله انها لفكرة صائبة . ولكن كيف نستطيع خلعه وهو قوي وله أعوانه  
— أقوى أعوانه النمر وزيره الاول . عدوا النمر برأسة الجمهورية . فينفصل عنه ويعاونكم على خلعه

— والله ان لك لحكمة الفلاسفة . سنفعل

ومضت الحدأة . فرأت النمر : السلام عليك ايها الوزير الخطير . كيف الحال

— والله ان الرعية كسول . فقل المورد

— قل المورد لأن الأسد ملككم لا ينصف الرعية لكي تشبع وتقوى على الصيد والقنص



— صدقت . انه شديد الطمع عديم الشبع . يحرم الشعب حتى الوزراء احياناً  
 — أنت أولى منه وأجدر ايهاذا النمر . لأنك أشد اعتدالاً وأوفر عدلاً ولست  
 أقل منه بأساً وبطولة . فلماذا لا تخلعونهُ وتتولى الحكم أنت ؟  
 — كيف نستطيع وهو يجند كل الرعية للدفاع عنه ؟  
 فدننت الحداة من النمر وهمست في أذنه : الكلام بسرك . ان الرعية ضاقت ذرعاً به  
 وأظنها تتآمر الآن عليه لخلعه وإنشاء جمهورية تقسم الرزق بالعدل . فاقبل نصحي وترأس  
 المؤامرة تكن رئيس الجمهورية ، ثم دكتاتوراً ، ثم ملكاً مطلق السلطان . فاذا عدلت بقي  
 الصولجان لك

\*\*\*

وما هي الا أيام معدودة حتى تمت المؤامرة وتألقت الجمهورية سرّاً . وما درى الاسد  
 الا وقد دخل اليه في عرينه وفد من الفهود والضباع والذئاب وأبلغوه ان حكومة الشعب  
 الجمهورية قد قررت خلعه لشدة ظلمه . وانه سيبقى اميراً في عرينه والسلام في يديه  
 ورجليه ، ويقدم له كل يوم نصف فخذ خروف  
 فقال الملك الاسد : أين النمر ؟ لا أراه معكم في وفدكم . لقد أبداتم بملككم وزيره .  
 لسوف ترون هل تكون جمهوريتكم الزائفة أعدل من ملككم . انّ الحكم الذي حكتموه  
 عليّ لا قبل لكم على تنفيذه ، لأن اخواني الاسود سيأتون لانقاضي . فاذا تركتموني  
 أبرح الى منطقة أخرى بعيدة عنكم ضمنتم الأمن لكم  
 — كيف نضمن انك لا تنقلب علينا ولا تغدر بنا ؟  
 — أعاهدكم بشرف الملوك . أنتم الآن عصبة فلماذا تخافون مني  
 قالوا : اكتب لنا ميثاق الأمان بيننا وبينك  
 فكتب الميثاق : وانطلق الى غابة بعيدة

\*\*\*

ما انقضت برهة طويلة على الجمهورية حتى صار النمر دكتاتوراً أشد ظلاماً وجشعاً من  
 الاسد الملك . فكان يفرض على الذئاب والضباع والثعالب وبنات آوى قدراً معدوداً من  
 الدجاج والنعاج والماعز . فاذا لم يؤدوا هذه الأتاوة عاقبهم عقاباً شديداً  
 حينئذ اعتصبت الوحوش وامتنعت عن الصيد والغزو والسطو . فقال النمر الدكتاتور :  
 اذا امتنعتم عن الصيد ايها الاغبياء فلماذا تأكلون ؟



قالوا : نأكل العنب والقنء والخيار وسائر الفاكهة لاننا نباتيون كما اننا أكلة لحوم .  
 وأما أنتم النمر والفهود فلا تعيشون من غير لحم ودم . فموتوا جوعاً  
 ومضت مدة كانت اكثان الدجاج وحظائر الأغنام في أمن من غزوات الوحوش .  
 واما النمر فاستعان بالفهود لتأديب تلك الوحوش وارغامها على العمل حتى ضاقت ذرعاً به  
 وندمت الوحوش على خلعها الاسد لان النمر جاء بعده أشد طغياناً وأسوأ عسفاً وظلماً .  
 واجتمعت في مؤتمري سري وبحشت في الامر وقررت ارسال وفد الى الاسد لكي  
 يستسمح منه ويستعطفه عسى ان يعود الى عرشه رافقاً بهم  
 ولما مثل الوفد بين يدي الاسد يستعطفه قال الاسد ، لن أعود الا اذا خلعتكم النمر كما  
 خلعتوني ، وجئتم جميعاً اليّ تبايعوني وتحلفون يمين الطاعة لي  
 فعاد الوفد حزيناً لانهم رأوا ان عودة الاسد الى عرشه ستكون نقمة أشد وطأة عليهم

\*\*\*

وفيما الوفد عائد بخفي حنين صادف فيلاً . فقال احدهم : لماذا لا نضع صولجان الملك  
 في يد هذا الفيل . فهو أقوى من الاسد والنمر وهو لا يفرض اناوة علينا لأنه لا يأكل لحوماً  
 فاستوقفوه وعرضوا الامر عليه . فضحك وقال : أنظنون انكم فيما تبحثون عن سيد  
 يحكمكم تنفضون عن رقابكم نير العبودية ؟ الاحرار لا يفتشون عن سيد  
 قالوا : نريد ملكاً ديموقراطياً  
 ففهمه وقال : الملكية المطلقة والديموقراطية لا تجتمعان . إما هذه وإما تلك  
 قالوا : ماذا تفعلون انتم ايها القبيلة في نظامكم السياسي ؟ قال : نحن جمهورية بحتة  
 — اذن ، بربك تعال كن عندنا رئيس جمهورية  
 فأمعن الفيل في القهقهة وقال : لا تصلح الجمهورية لكم . ولا أنتم تصلحون لها  
 — كيف يمكن ان تصلح لها وتصلح لنا ؟  
 — تصلحون لها اذا صرتم كلكم أسوداً بحيث يصلح كل فرد منكم رئيساً للجمهورية .  
 نحن جميعاً افيال . وكل فرد منا يصلح ان يكون زعيماً يمشي امامنا فتمشي وراءه كتلة واحدة .  
 واما انتم فلا تجانس بينكم . بل انتم من جنسيات مختلفة : أسد وفهد ودب ونمر وذئب وضع  
 وتعلب وابن آوى الخ... متفاوتون في القوة والشهوة والطمع . القوي فيكم يأكل الضعيف منكم :  
 فلا يصلح لكم الا الحكم الملكي المطلق بحيث يكون الاقوياء فيكم اسياداً لكم وانتم عبيد  
 لهم . تتعبون وتشقون وهم يتمتعون بخفي تعبكهم وانتم تقنعون بما يبقى لكم من الفضلات .



كونوا جميعكم اسوداً فتتعادل قواكم وشهواتكم وتساوى حصصكم في ارزاقكم . والا فلاقوا به اسباد والضعفاء عبيد . هذه سنة الطبيعة فعيناً تحاولون ان تتمردوا عليها

\*\*\*

فعاد افراد الوفد يضربون اخماساً بأسداس وهم يفكرون بفلسفة الفيل الحكيم وما ان رووا الخبر بتفاصيله لاخوانهم في المؤتمر حتى باغتهم « طابور » من الاسود يضرب نطاقاً حول مؤتمريهم . ثم أعلن قائد الطابور « ان الاسود قد رأت ان سعادة المملكة في تلك المنطقة تتوقف على الحكم الجمهوري العادل ، فألّف الاسود جمهوريتهم . وقررت هذه الجمهورية ان تسود المملكة وان تدرّب سائر الوحوش على العمل تدريجاً نظامياً يكفل لهم الرزق بحسب ما يفرض عليهم من العمل . وليفهم الوحوش ومن جملتهم الثمرة أنهم جميعاً عبيد لجمهورية الاسود وعليهم الطاعة المطلقة »

عند ذلك انبرى رئيس الوفد وتقدم الى الأسد رئيس الجمهورية ورفع ورقة بيده وقال : هل نسي الرئيس هذا الميثاق — ميثاق شرف الملك فقال الأسد : هذه قصاصة ورق . وقد مزقتها فلسفة مستشاركم الفيل

\*\*\*

وكانت الحدأة والدجاجة على فرع الشجرة تشاهدان مجلس الحيوانات الاخير وتسمعان فقالت الدجاجة للحدأة : ما استفدنا من حيلتك يا صاحبتى الا ان جمهورية الضواري جاءت أشد نكبة علينا من دولة الأسد فقالت الحدأة : الاسد لا يغزو أكنانكن بل الثعلب . فأين الكلب حامي الدار ليحميكن من الثعلب ؟

فقالت الدجاجة : الكلب لا يصول الا متى كان الى جنب سيده . والا فهو جبان ينسح من بعيد فلا خير لنا فيه

فانبرى الكلب من فوق الجدار وقال : انك مأكولة على كل حال يا مغفلة . ان لم يأكلك الثعلب يأكلك سيدي

فتأوهت الدجاجة وقالت : آه . أجل اني مأكولة على كل حال . لان ذنبي ان لمجي لذيد فأطلت فأرة من وكر في الجدار وقالت : ان ذنبي كذبتك يا عزيزتي . لمجي لذيد للسنور فاستحله . تبّاً لهذا النظام الحيواني الظالم

فانبرى السنور وقال : اصمتا . هذه شريعة دارون وقد أجمع العلماء على انها أصح شريعة للطبيعة



# مشكلة العصر

وواجب كل فرد ازاءها

لسلامة موسى

نحن نعيش في عالم فاسد . ونعني بالفساد هنا ان هذا العالم يستمسك بقواعد ومبادئ بالية لا تصلح للعصر . وينتج عن هذا أننا في وسط الثروة الحافلة التي يكتظ بها العالم نعيش فقراء ومرضى وجهلاء

واعظم ما يدل على هذا الفساد هذا الفقر الذي يعم العالم فان اكثر من ٩٥ ٪ من سكان العالم يعيشون وهم محرومون ما يليق من الملابس أو المسكن أو الطعام ، مع ان وسائل الانتاج الحاضرة الزراعية والصناعية تكفي وتفيض . أي تكفي لأن تملك كل عائلة في العالم بيتاً مستقلاً متمدناً لا يقل ثمنه عن الف جنيه ويحوي جميع وسائل الرفاهية من الاثاث . بل يمكن كل عائلة ان تملك سيارة . ونعني كل عائلة في العالم . ولا نذكر الطعام ولا نذكر اللباس لانهما يكفيان ويفيضان بلا حساب

فاذا استعملنا وسائل الانتاج والتوزيع اي الاستهلاك بالاساليب العلمية بدون التقيد بالقواعد القديمة ، واذا اخذنا بالمبادئ التي تنظر الى المستقبل بدلاً من المبادئ التقليدية ، استطعنا ان نمحو الفقر من العالم كله وان نحيل جميع سكانه اغنياء . ولسنا بالطبع نقصد بالغنى أن يملك كل منا فيلاً أو يزين رأسه بأحجار لماعة برّاقة مثل الألماس أو اللؤلؤ . لأن هذا الغنى هو غنى الجهلاء . وهذا الخيال هو خيال العقل الضعيف . وانما نعني غنى الكفاية في الحصول على الطعام واللباس والمسكن

اننا نعيش تحيط بنا الثروة ولكننا نعالجها باقتصادات الفقر . ففي الوقت الذي نعرف فيه أن سكان العالم جميعاً ( وهم لا يزيدون على ألفي مليون انسان ) يكفيهم ثلاثة او اربعة مصانع فقط لصنع الأحذية أو عثرون أو ثلاثون مصنعاً كبيراً لصنع الملابس ، ومثل هذا العدد لاخراج السيارات أو أجهزة الراديو — بينما نعرف هذا نقف عند المعرفة ولا نستخدمها في محو الفقر والحاجة . وفي عالمنا الحاضر رجال مثل فورد يشيرون بأصابعهم الى الطريق السوي للانتاج الكثير الذي يكفي هذا الكوكب الصغير ومع ذلك لا نلتفت



الى اشارتهم . فان فورد كان يخرج في اليوم الواحد نحو خمسة آلاف سيارة يتسلم موادها خاماً ويخرجها مركبات تجري ناصعة الظاهر مترفة الباطن . وبدهي ان عشرة رجال مثل فورد يمكنهم ان يزودوا كل عائلة على هذا الكوكب بسيارة فاخرة . بل استطيع أن أقول إن فورد نفسه لو كلف هذه الخدمة لقام بها وحده

وليس فورد ممتازاً على أي انسان منا . وكل ما يمتاز به أنه يستخدم العلم في الانتاج . هذا العلم الذي يمكن أن نستخدمه ايضاً في صنع الملابس والاثاث وبناء المساكن بل في كفاية جميع الناس الطعام الوافر المغذي

ولكننا لا نفعل هذا لأن العلم لا يستعمل في الانتاج الصناعي والزراعي ولاننا نقيم الأمم الى طبقات ونكاد نحس لفرط جهلنا أن الفقر ضروري ومحتوم واننا يجب ان نرعاه مع ان العلم الحديث قد جعل امكان الغائه تاماً في العالم كله ممكناً في بضع سنوات نحن نعيش في عالم فاسد يحفل بالفقر في وسط الثروة لاننا لا ننتج هذه الثروة ولا نوزعها بالاصول العالمية على الناس . ونحن نعيش في عالم فاسد أيضاً نكاد زعى المرض ونحميه مع ان وسائل الوقاية منه وكذلك وسائل معالجته متوافرة . وأول الوسائل لمقاومته هو الغاء الفقر لان الفقر اعظم الاسباب للمرض . والوقاية تحتاج الى المسكن الحسن واللبس الحسن والطعام الحسن . وهذه كلها يمنعنا الفقر من الحصول عليها . وليس من حق أمة أن تسمي نفسها متمدنة اذا كان مرض مثل التيفوس ينتقل بالقمل ، أو مرض آخر مثل الدرن يتفشى بقلّة الغذاء ، أو مرض آخر مثل البلاجرا يتفشى لهذا السبب نفسه — اقول ليس من حق امة ان تسمي نفسها متمدنة اذا كانت تترك هذه الامراض تقشو فيها للفقر بينما فيها افراد يحصل أحدهم على مائة أو الف جنيه في اليوم وآخرون لا يحصل احدهم على سبعة او ثمانية جنيهات في السنة كلها

ان تفشى الفقر والمرض في أمة ما برهان على فساد في المجتمع . وكلاهما أي الفقر والمرض مرتبط أحدهما بالآخر ، كل منهما يشمر الآخر . او بالاحرى نقول ان الفقر هو التربة الخصبة للمرض ثم يعود المرض فيساعد الفقر على ان يقوى ويشتد . وكلاهما يمكن محوه بالقليل جداً من مبادئ العلم العصري وترك التقاليد الآسنة في الانتاج والاستهلاك

ونحن نعيش في عالم فاسد لاننا نعيش في وفرة من المعارف العصرية ولا نستعملها في تربية أنفسنا . فنحن جهلاء باتفاق عام أو بنظام معين ارتضته الأمم لكي لا يتعلم أبناؤها . بل ان أعظم الوسائل للتربية التي اخترعت في عصرنا مثل الراديفون والسينما توغراف تستعمل الآن للتسلية التافهة التي لا تزيد على مستوى العقل الأبله في حين كان يمكن أن تكون هاتان



الوسيلتان قوة دينامية لتحريك الذهن البشري وتعبئة العواطف للرقى العام والتنقيف العصري . وليس على هذا الكوكب الآن أحد يستطيع أن يقول أنه حصل على تربية حسنة لأن الواقع اننا كلنا جهلاء . وهذا الجهل قد جعل المعارف منفصلة غير مترابطة حتى ان العالم في البيولوجيا يجهل مبادئ السياسة، والعالم في الزراعة يجهل مبادئ الاجتماع . فعارفنا في تحليل وليست في تأليف . ومن هنا كوارثنا المتعددة وجهلنا الفاضح . فعالم الزراعة مثلاً يمكنه بالعلم العصري أن ينتج من الطعام ما يكفي كل فرد على هذا الكوكب أن يأكل ويشبع كما يشاء من الخبز واللحم والخضروات . ولكنه بعلمه الزراعي قد انفصل عن العلم الاجتماعي فلا يعرف أين يجب أن يذهب نتاج القطن والبن والقمح والعجول والخراف والخنازير ولذلك أحرقت هذه الاشياء في سنتي ١٩٣٠ و ١٩٣١

هذا الكوكب يجوع سكانه ومع ذلك تحرق محاصيله الوفيرة التي أنتجها العلم الزراعي . لأن العلم الاجتماعي لا يزال ناقصاً أو ان ما يعرف عنه يجهله عالم الزراعة أو ان بعض الحكومات تمنع الحرية في بحث الاجتماع فلا يتقدم هذا العلم ولا يقشروا بين السكان في حين هي لا تمنع بحث الزراعة فتتقدم ويكثر انتاجها ولكن مع كثرتها لا تنفع به الأمم . اننا جهلاء . نتعلم في المدرسة والجامعة الأعيب من الفصاحة والبلاغة والثرثرة ونزين ببهارج من تاريخ الاغريق والعرب والرومان ونقرأ جرائد تحدثنا عن زواج هذه المغنية أو الجواهر التي يملكها ثري في أميركا أو مراهبا في الهند . ونحن نغذو أذهاننا بهذا الغذاء التافه بعد تعليم زائف في المدرسة أو الجامعة فلا يبلغ أحدنا سن الأربعين أو الخمسين حتى يجد أنه جاهل عظيم لا غش في جهله ولا علاج له . وكل هذا لأن المعارف العصرية يفضل عليها تقاليد في الثقافة هي العفن والأسن واللعب والتفريغ لا ينفع بها غير الذين يتناولون أجراً لتعليمها

نحن جهلاء ومجتمعنا مضطرب مرتبك لأننا لا ندرس المعارف العصرية ولا نربطها ببعضها ببعض حتى يتأثر بها المجتمع وتدخل في تفاصيل نظامه . ولذلك تجد جاهلاً من وقت لآخر يطالبنا بنظام اجتماعي كان فاشياً قبل ألف سنة لأن هذا المسكين يجهل اننا في القرن العشرين ننتج من غذاء الجسم وغذاء الذهن ما يكفي لأن يجعل أصغر صعلوك في عصرنا يعيش في ترف وحضارة لم يبلغها سليمان في عظمته ولا رمسيس في قوته

ولكننا لا نستخدم الوسائل العصرية لالغاء الفقر ، وكذلك لا نستخدم الوسائل العصرية لمحو الجهل . بل نحن لجهلنا أيضاً نخشى المعرفة ونعتقد ان فيها أنواعاً خطيرة فنمنع الناس من دروسها . ويبلغ الجهل ببعض الساسة أن يسنوا القوانين لمنع دراسة بعض القيم



الاجتماعية والدينية الجديدة أو بحثها . كأن تقرير المصير للذهن البشري قد أصبح من حقهم موقوفاً عليهم

ونحن نعيش في عالم فاسد لأنه زيادة على ما فيه من فقر ومرض وجهل يوقعنا من وقت لآخر في الحرب بعد أن يهيء لها بالاستعمار واستعباد الأمم التي لا تملك السلاح . والترابط واضح بين جميع هذه الشرور الأربعة . وكذلك الأمل واضح فيها . وهو أننا لاستخدم العلم الحديث ولا نتعلم الوسائل العصرية لكي نصل الى المعارف الجديدة التي تكفل لنا طعاماً ولباساً ومسكناً ورفاهية عامة وسلاماً دائماً

هذا السلام الذي يُهدم من وقت لآخر لأن الجهلة من الساسة يجهلون ان العلم العصري يمكنه ان يوفر لنا كل ما نحتاج اليه . ويؤدي جهلهم هذا الى ان يلجأوا الى الأساليب القديمة في إنشاء طبقة ممتازة أو أمة ممتازة وفي الالتجاء الى الاستعمار وخطف الأسواق او المواد الخام . فبدلاً من ان يتوافر لنا العلم والمعرفة والصحة والسكن واللباس والترفيه مدى الحياة يتوافر لنا الجهل والفقر والمرض والقتل بالحرب او بالجريمة . ونحن نموت بالجملة في هذه الفوضى العامة يقتلنا الألمان بطائراتهم أو يقتلنا التيفوس بالقمل

\*\*\*

فما هو الواجب ازاء هذه الفوضى على كل فرد منا ؟

الواجب الأول ، الواجب الديني ، الواجب الذي تحتمه علينا الحياة الشريفة النقية هو ان نواجه هذه الدنيا بعلامة الاستفهام وبتواضع الجاهل نسأل لكي نعرف ونتعلم مدى حياتنا . لا نتعلم البهارج والزخارف ولا ننخي نقصنا بالالتجاء الى التقاليد ومجد التاريخ ، وانما ندرس لنعرف كيف نستطيع ان نمحو الفقر والمرض والجهل والحرب . والمعارف العصرية كفيلة بهذا المحو اذا تعلمناها ودرسناها بدلاً من قضاء وقتنا وحشو أدمغتنا بما نسميه ثقافة وهي في حقيقتها مجموعة من العادات اللفظية التي كانت تعيش بها مجتمعات متأخرة وكانت هذه الثقافة نفسها نتيجة لتأخر هذه المجتمعات وسبباً أيضاً لزيادة تأخرها

يجب ان يكون لنا وجدان عالمي . يجب ان نحس أن هذا الكوكب كوكبنا . واننا أمة واحدة عددنا الفان من الملايين نقاسي ضروباً من الظالم ليست لها ضرورة ما واننا نستطيع ان ننظم هذا العالم كما ننظم قرية صغيرة ، فنبنى مساكنه ونؤثثها ونعلم ابنائه ونقدم لهم أجل الملابس وأصح الأطعمة . ويجب ان نعرف ان الأمم المتحاربة الآن — في هذا اليوم — تنفق نحو مائتي مليون جنيه ، مائتي مليون جنيه في اليوم لقتل الشبان من الروس والانكليز والالمان والايطاليين والهنود والاميركيين واليابانيين . وما ينفق الآن على الحرب يمكن ان



ننفق أكثر منه مدة السلم لكي يعيش الناس في مساواة يستوون في الحصول على متع الحضارة

فاذا وصلنا الى هذا الوجدان واذا شرعنا نتعلم ونعرف فاننا نستطيع عندئذ ان نشرع في الكفاح . فنؤمن بالعالم قبل ان نؤمن بالوطن . ونجعل هذا الايمان ديناً بشرياً جديداً يبعثنا على احترام هذه الدنيا وصيانتها بما فيها من كنوز وحيوانات وناس . فلا يجوز لأمة ان تستغل مناجها حتى تنضب . ولا يجوز لفرد او طائفة ان تبعد حيواناً من غابات العالم لأن هذه الغابات هي حديقتنا وهذه الحيوانات هي ترائنا من الطبيعة . ولا يجوز لأحد ان يستبد بشعب ويحرمه المعرفة أو الثروة أو الصحة أو الطمأنينة لأننا كلنا أمة واحدة عددنا القان من الملايين . والحضارة القائمة هي تراث وراثنا بعد كفاح لا يقل عن نصف مليون سنة فلا يجوز لفرد أو طبقة ان تستأثر دون غيرها بمتع هذه الحضارة او مزايها

يجب ان نكافح الرق بكل أنواعه . رق الاستعمار ورق المرأة ورق العامل لا لأننا بشر سواء فقط بل لأن المجتمع الذي يستغني الآن عن الرق باستخدام الحديد والنار والكهرباء . وقد وجد في استخدام هذه كلها خيراً عظيماً زيادة على ما كانت تجده من الخير أو من الشر تلك المجتمعات القديمة التي كانت تحيز رق الانسان

ان متوسط ما يملكه الرجل او المرأة او الطفل في الولايات المتحدة الاميركية هو أربعون حصاناً من الطاقة المحركة . أي ان هذا المجتمع الاميركي قد صار يستخدم من آلات الحديد والنار والكهرباء في البيت والمصنع والزراعة والمتجر وفي التنقل بالبحر والجو واليابسة ما متوسطه أربعون حصاناً لكل فرد . أو بكلمة أخرى صار كل طفل وامرأة ورجل في الولايات المتحدة يملك نحو ثمانين عبداً يعمل في خدمته دون ان يتألم

فلنكن لنا دعوة الى التحرير . تحرير الناس من رق العمل الذي يسير على التقاليد القديمة . هذا التحرير الجديد يسره لنا العلم والذي سوف نرى منه أكثر مما نرى الآن اذا تخلصنا من قيود التقاليد الآسنة

معرفة ثم كفاح . معرفة تتألف بها الثقافة حتى تنتهي كلها الى غاية اجتماعية . فلا تعلم الزراعة للانتاج الكثير فقط بل لتوفير ما ينتج للناس . ونعني للناس أي ليس للتجارة ولا للثراء . فاذا زادت المحصولات فلخير العميم وليس للاحراق كما حدث سنتي ١٩٣٠ و١٩٣١ حين أحرق القمح والبن وأتلف القطن وقتلت العجول والخنازير ، لا لأن الشعوب لا تحتاج اليها بل لأنها لم تجد الثمن الذي يعود على أصحابها بالربح



هذا الجهاد ينشأ عن وجدان عالمي يجعلنا نحس أننا أبناء هذه الدنيا التي لن يكون فيها فقر أو مرض أو حرب أو جهل

مشكلة العصر هي هذه : اننا نعيش في عالم حافل بالمعارف العصرية ، بالعلوم الجديدة التي تستطيع ان توفر لنا الصحة والثروة والسلم . توفره لكل بيت . لكل فرد . واننا بهذه المعارف الجديدة نستطيع كل منا ان يستخدم قوة كهربائية أو بخارية تساوي ثمانين عبداً ولكننا محرومون استخدام هؤلاء العبيد الجدد ، محرومون لأنه يسوس العالم ساسة لم يتعلم معظمهم العلوم الجديدة فلم يعرفوا الوسائل الجديدة للإنتاج ولم يفكروا في وسائل جديدة للتوزيع . فعقلية هتلر أو غيره من الساسة هي عقلية نبوخذ نصر أو رمسيس الثاني أو نابليون ، عقلية الاستحواذ على الثروة باخضاع الأمم الأجنبية . مع ان العلوم العصرية والمعارف الجديدة قد أوجدت وسائل أخرى لإنتاج الثروة تفوق الف مرة اخضاع الأمم الأجنبية كما أوجدت الآلات لخدمة الأميركي بدلاً من العبيد

\*\*\*

والآن ما حاجتنا نحن المصريين — على الاخص — في عالم فاسد كهذا ؟ واجبنا ان نستنير ونتعلم ونفهم محور المشكلة وبؤرة الفساد في العالم وفي مصر . فاذا فهمنا استطعنا أن نقبس جهلنا ومرضنا وفقرنا بما يقايس عالمية واستطعنا ان ننقل مشكلاتنا الى التيار العالمي فننكم بلغة المتمدنين ونفكر بتفكير المتمدنين . فلانسفهم ونقول اننا امة شرقية لنا تقاليد خاصة ونكتفي بذلك كأنا نعيش في كوكب آخر غير الأرض . لأن العالم الآن لا يقسم الى شرق وغرب . وانما هو يقسم الى امم دستورية واخرى اتوقراطية ، وامم دموقراطية واخرى فاشية ، وامم بلوتوقراطية واخرى اشتراكية ، وامم زراعية تقليدية واخرى صناعية تنظر الى المستقبل . وهذا تقسيم يفهمه ذهن متمدن مثقف . وهو تقسيم الذهن والمعرفة . اما قسمة العالم الى شرق وغرب فنقسم الجهل والعاطفة . الاول ينير والثاني يظلم

بؤرة الفساد ومحور المشكلة في العالم كله ان الدنيا تنتقل في عصرنا من عمل اليد الى عمل الآلات الكبيرة . فالامس التي كانت تنبني عليها المجتمعات القديمة قد تزعزعت . وصار العالم في حاجة الى بناء جديد . وواجبنا نحن في مصر ان نساعد على اقامة هذا البناء تغير العالم من اقتصاديات الزراعة والعمل اليدوي ، اقتصاديات المالك الصغير والفاقة العامة والمذلة الشعبية ، الى اقتصاديات الصناعة الآلية أي عمل الآلات ، اقتصاديات المالك الكبير والانتاج الكبير والثروة الوفيرة ووجدان الشعوب التي تحس ان هذه الثروة يجب ألا تترك في



أيدي طائفة تحد من انتفاع الشعوب بها باحراق المحصولات أو اقفال المصانع . ويجب علينا نحن المصريين أن نساعد على هذا التغير

تغير العالم من النظر التقليدي للمعاش والرضى بأصاليب الانتاج الصغير بأدوات يدوية من الخشب ، الى النظر الى المستقبل واستخدام العلم في الانتاج الكبير . أي انتاج ؟ الانتاج الذي نعرف منه ان مصنعاً واحداً — أجل واحداً — يكفي العالم كله من بعض الحاجات كالأحذية أو الزجاجات أو العقاقير المختلفة

ومثل هذا المصنع يجب ألا يملكه انسان . بل ولا شركة . بل ولا أمة . وانما يملكه العالم كله . لانه هو ثمرة مكشفات ومخترعات قد احتاج البشر الى نحو نصف مليون سنة لاتمامها منذ ابتداء الاكتشاف للنار الى الاهتمام الى القراءة والكتابة الى معرفة المعادن الى دراسة العلوم والفنون المختلفة . والبشر سواء في هذا التراث الثقافي ليس لأمة فضل على أخرى فواجبنا في مصر أن نساعد على هذا الانقلاب العالمي

١ — نساعد على انتقال العالم الى الصناعات الآلية حتى تنتقل الى اقتصاديات الوفرة ونترك اقتصاديات القلة

٢ — ونساعد على تأصيل الاخلاق الجديدة التي تنشأ عن هذا الوجدان : أخلاق الوفرة في المعيشة بحيث يتوافر لكل عائلة بيت وطعام ولباس وتربية وفراغ وصحة وطمأنينة . وكل هذا وأكثر منه سهل ممكن في عصرنا

٣ — ويجب ان نساعد على هذا الانقلاب بالنظر الى المستقبل ورسم الخارطة للعالم الجديدة وأن نترك النظر التقليدي

٤ — ويجب أن يأخذ الرأي والعلم والمناقشة الحرة للاذهان الحرة مكان العقيدة والتقاليد وتقييد التفكير

٥ — ويجب ان ننقل من حسابات القرية ومهارات القرية في السياسة المصرية الى سياسة عالمية نشعرنا بالتضامن البشري وتحملنا على التيارات الاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية التي تؤثر في العالم وتغيره

\*\*\*

وفي مصر يجب علينا أن نقتل الاسطورة القائلة بأننا أمة زراعية واننا لن ننجح في الصناعة . ويجب ألا نصدقها لأنها أسطورة كاذبة . واذا قيل لنا انه ليس عندنا حديد أو فحم فيجب أن نرد بأن عندنا البترول ومسايط المياه . ويجب أن نقول انه كما نصدر نحن القطن



يمكننا أيضاً أن نستورد الفحم . ويجب أن نقول ان إيطاليا وسويسرا ليس في احدهما خم أو بترول أو قطن أو حديد ومع ذلك صارت كل منهما أمة صناعية أي أمة عصرية أي أمة تعيش باقتصاديات الوفرة . ففي سويسرا ينال الكنتاس في الشارع (١٩٥) تسعة عشر جنهما ونصف جنيه في الشهر ، ذلك لأنها أمة غنية بصناعاتها . ولو اقتصرنا على الزراعة لكنت فقيرة مثلنا . ونحن نمتاز على سويسرا بمادتين من المواد الخام هما القطن والبتروول . وكلانا سواء في السياحة ومساقط المياه أو يجب ان نكون سواء

في سنة ١٩٥٤ سن قانون في مصر للصناعات المصرية . فلم يسم المصنع مصنعا بل سمي « محل مقلق بالراحة أو مضر بالصحة أو خطر » وهذا القانون لا يزال قائماً منفذاً . وهو يعرقل صناعاتنا ويهدم مصانعنا

والعجب ان لفتة مصنع لم تذكر الى الآن في القوانين المصرية . ولكي ندرك المعنى والغزى من هذا القانون يجب ان نسأل ماذا يكون شعور الطبيب والمريض لو اننا وصفنا المستشفى في قانون جديد بأنه « محل لتقطيع أجسام الناس من رجال ونساء وأطفال أو للموت » ؟

انه ليس شك في ان أجسام المرضى تقطع في المستشفيات وكذلك يحدث فيها الموت . ولكن الى جنب هذا نجد آلافاً ممن يشفون ويهنأون بالسعادة والصحة

وكذلك الحال في المصنع فهو أحياناً يقلق الراحة او يضر بالصحة أو يكون خطراً ولكنه يخرج لنا مصنوعات رخيصة ويستخدم الوف العمال وينقلنا من حضارة الزراعة التقليدية الى حضارة الصناعة، حضارة المستقبل . ويغير تفكيرنا من العقيدة الجامدة الى العلم الحر ويحملنا على تيار عالمي جديد نحو اقتصاديات الوفرة والشعب والمعرفة والصحة بدلاً من اقتصاديات القلة والجوع والمرض والجهل .

فيجب ان يلغى هذا القانون لأن عاقبة بقاءه هي عرقلة تطورنا الاجتماعي وابقاؤنا في أسر فكريات قديمة بالية

ولن يمكن ان نصير أمة عصرية إلا بالصناعة على الرغم مما قد يكون فيها من اطلاق بالراحة وضرر بالصحة وخطورة . وكل هذا لن يصل الى جزء من مائة او الف مما في الزراعة من بلاغة وبلهارسيا وانكاستوما ودرن وجوع وذلل وقمل

واذا دخلت بلادنا في الطور الصناعي شملت اذهاننا فكريات العلم واخذنا بالنظر الى الامم واستطعنا ان نسير مع قافلة المدن



# جبرائيل تقلا باشا

لمحمد زكي عبد القادر

في السادس من شهر يوليو الماضي ، فقدت الصحافة العربية كبيراً من بُنائتها ، هو المغفور له جبرائيل تقلا باشا صاحب «الاهرام» . وقد كان تقلا باشا شخصية مستترة ، تبدو عظمتها في أثرها ، أكثر مما تبدو في ذبوع اسمها . ذلك انه كان يحب عمله أكثر مما يحب نفسه ، بل لعل نفسه كانت تتجسم له في عمله ، فلم يكن يجد ما يفرق بينهما . ومن هنا كره أن يطنطن باسمه ، ولو فعل ما كان أحد لينقده ، فان مئات الناس ممن هم أقل منه شأنًا وكفاية وأثرًا تدوي أسماءهم صباح مساء . ولم تكن تنقصه الوسيلة للاذاعة والاعلان ، فان «الاهرام» بلغت من الانتشار مبلغاً كبيراً . ولكنه أثر أن يكون المجد كله والذبوع كله لجريدته ، وكان يجد رضاء النفس كاملاً ، كلما أتيج له أن يصعد بالاهرام في سلم الفن الصحفي درجة واحدة

وأخص ما كانت تمتاز به شخصية تقلا باشا التجديد وسبق الزمن . كان حركة دائبة ، لا يحقق أملاً من الآمال ، إلا ليرنو الى أمل جديد . ولم تكن الصعاب ، مهما تثقل وظأها ، لتصرفه عن السير الى الامام . وقد ورث «الاهرام» وهي جريدة ثابتة القدم لها قراؤها ومطبعها وادارتها ، ومع ذلك فان من يقارن بين «الاهرام» التي ورثها و «الاهرام» التي خلفها ، يكاد يفقد أوجه الشبه بين الاثنين . ذلك أن تقلا باشا — كما قدمت — كان بانياً مجدداً ، له أفكاره واتجاهاته ومطامعه . وقد سبق «بالاهرام» ما كانت تحتمله النهضة المصرية ذاتها ، فبلغ بها في نحو عشرين سنة مبلغ الصحف الكبرى في أوروبا وأميركا . والصحافة — كما يقال — مرآة النهضة الثقافية في البلاد ، فهل بلغت مصر من هذه الناحية مبلغ أوروبا وأميركا ؟ ما نحسب إلا أن يكون الجواب سلباً ، ومع ذلك فان تقلا باشا قد استطاع ، بفضل تقننه وشدة غيرته على عمله ، أن يدفع النهضة الثقافية في البلاد الى الامام دفعا

وقد كانت «الاهرام» ، قبل أن تخفض الصفحات بسبب ظروف الحرب ، مدرسة للثقافة العامة ، تطالع قراءها كل صباح بالأبحاث المختلفة في الاقتصاد والاجتماع والسياسة



الداخلية والخارجية ، فتشير فيهم الاهتمام بها ، وتدفعهم الى درسا والاحاطة بمختلف التيارات الجديدة في شتى بلاد العالم . وقد ساعد اتقان اصدارها من الوجهة الفنية على ذيوعها ، فكانت تنقل هذه الثقافة الى عشرات الآلاف من القراء ليس في مصر فحسب ، ولكن في سائر البلاد التي تنطق بالعربية . ومن هنا كانت خدمة تقلا باشا للنهضة المصرية خاصة ، وللنهضة الشرقية عامة ، ومن هنا كان ما أشرت اليه من دفعه لها الى الامام دفعا ، فكانت جريدته تسبق النهضة وتجذبها وراءها

وكان من المحتمل لو لم يكن تقلا باشا مجدداً طموحاً ، مسخياً في الانفاق ، مغامراً في سبيل تحقيق أهدافه ، أن تظل « الاهرام » حيث تركها أبوه ، أو أن تبلغ من التقدم مبلغاً يناسب النهضة العامة في البلاد ، ان لم تتخلف عنها قليلاً . ولكن « الاهرام » كوسيلة من وسائل نشر الثقافة تفاعلت مع هذه النهضة فدفعت كل منهما الأخرى . وكان دفع « الاهرام » لها ، فيما أحسب ، أقوى وأعظم

وقد كان من المحتمل أن لا يكتب لتقلا باشا كل النجاح الذي كتب له ، لو لم يسند روح المجازفة الذي كان بعض خصائصه ، علم وافر ، وذكاء نافذ ، ونظرة صادقة للحوادث والاشخاص واحتمالات المستقبل . وقد كان عنيداً ، ولكن عناده لم يكن عناد الجاهل المغرور ، بل عناد الدارس الباحث المقنن . وقد كان له من سعة فكره وعمق ثقافته ما صرفه عن كثير مما يعنى به عامة الناس ، ويحول بينهم وبين الجد الثمر والعمل الناجح . فلم تكن الخلافات الدينية او المذهبية او الثقافية لتحمله على التعصب لواحدة منها او الانحراف عن الأهداف التي وضعها نصب عينيه ، فاستمع لكل الآراء ، ونشرت جريدته كل الابحاث فتمثلت فيها الحرية الكاملة : حرية البحث والرأي ، حرية الكفاح والدفاع ، فلم يكن من هؤلاء الذين لا يحبون إلا آراءهم ولا يتعصبون إلا لها ، ويكرهون ان يعرف الناس أو يقرأوا غيرها . كان حق قرائه عليه أسى عنده من كل شيء ، حتى من حق نفسه عليه

\*\*\*

وكان يحب صناعته حباً جماً ، ويعنى بجريدته عناية لا حد لها . كان حريصاً على اسمها وسمعتها . ولم يكن مبعث ذلك كله انه يبتغي الربح وجمع المال ، بمقدار ما كان يبتغي أن يبلغ بعمله غاية ما يرجوه ، إرضاءً لهوى نفسه . فكان أشبه بالفنان يعنيه ان يعبر بريشته او قلمه عن خواج نفسه ، فاذا بلغ ذلك فقد بلغ هواه . ومن هنا كان سخاء تقلا باشا في الانفاق سخاء منقطع النظير على كل ما يحسبه محسناً او ترقية لجريدته دون نظر أو مقارنة بين ما يصرف وما ينتظر ان يرد اليه ، ومن هنا أيضاً كانت طفرات « الاهرام » ، التي أثارت عند بعض



اصدقاء تقلا باشا النقد له ، بل والتحذير من عواقب ما سموه اندفاعاً . أدخل قسم التصوير في « الازهر » وكان الاول من نوعه في الصحافة اليومية وكان خطوة كلفتها الكثير من الجهد والمال . وأثار عمله حينئذ نقداً وتحذيراً ، ولكنه لم يتردد في انفاذ ما اعتزمه . وما هي الا أشهر حتى اذا ما سموه « اندفاعاً » يصبح انقلاباً في الصحافة العربية كلها وإذا الصحف اليومية تتابعه فيه ، واذا بها تقطع مرحلة جديدة كبيرة من مراحل تطورها . ولولا جرأة تقلا باشا لكان من المحتمل بل من المؤكد أن تظل الصحف اليومية في مصر وغيرها من بلاد الشرق العربي خالية من الصور ، أعني متخلفة عن مثيلاتها في اوربا واميركا بثلاثة اجيال .

\*\*\*

وكان تقلا باشا يؤمن بأن اصدار الجريدة عمل متعدد النواحي ، ولكنه متماسك او ينبغي ان يكون متماسكاً ، فكان يرى ان الخلطة الصغيرة في ناحية صغيرة من نواحي هذه الماكينة الضخمة التي تحرر المقالات وتجمع الاخبار وتصفها وتطبعها وتوزعها على القراء لابد ان يؤثر تأثيراً سيئاً في سائر النواحي . وكان يضرب المثل دائماً بموزع الجريدة هذا المعاون البسيط في دائرة هذه الماكينة الضخمة ، يقول لنفرض انه أهمل في توصيل الجريدة الى المشترك أو تأخر في ذلك ، ماذا تكون فائدة الجهد الكبير الذي بذل في اعداد الجريدة وطبعها ؟ من أجل هذا كان حريصاً على ان يسير كل شيء بدقة . وكان يتهاون في الكثير مما يتصل بشخصه في معاملاته الخاصة ، ولكنه لم يكن ليتهاون قط في خطأ يمس جريدته من قرب أو بعد ولم يكن ينظر للجريدة على انها عمل للربح أو للتجارة ، ولكنه كان يراها مجموعة تقاليد صالحة ، أساسها الخلق الفاضل والتعاون الكامل . ولم يكن يغيبه من انسان يشغل معه ان يكون قليل الكفاية ضعيف الانتاج ، بمقدار ما كان يغيبه ان يكون فاسد السيرة ضعيف الخلق . ولم يعرف عنه قط انه تخلص من واحد من النوع الاول ، ولكن عرف عنه دائماً انه كره التعاون مع النوع الثاني . لذلك كان يتحرى في كل من يضمهم الى أسرة « الازهر » ان يكونوا من ذوي الاخلاق الفاضلة أولاً حرصاً منه على اسم « الازهر » وسمعتها

\*\*\*

وقد جعل من « الازهر » أسرة ، لا مجازاً ولكن حقيقة . كان يعد كل عامل فيه سواء كان في قسم الصف أو في مقاعد التحرير فرداً من أفرادها يعني بأمره ، ويتحرى شؤونه ويشاركه في مسراته ومتاعبه ، ويبدل له في السر والعلانية ما يسر عليه حمل الحياة وكان ديمقراطياً بنزعة وروحه . لم تكن الديمقراطية عنده — كما هي عند الكثيرين — ألفاظاً تقال أو مبادئ تقرأ وتحفظ ثم تروى للمباهاة ، ولكن كانت نبض روحه ونبض



دمه تحس بها في نظرتة و كلمته وتصرفه . لم تكن تصنعاً ولا تكلفاً ، ولكن سجية وطبعاً . وكان يكره لذلك ان يبدو في مظهر صاحب العمل المالك ، فكنت اذ تراه يتنقل بين مكاتب المحررين والموظفين ، وبين الصناديق والآلات يلاحظ هذا ويضاحك ذاك ، ترى رجلاً لا فارق بينه وبين غيره ، وكلهم موظفون عنده

\*\*\*

كان هذا الخلق الرضي بعض قوائم النجاح الذي صادف تقلا باشا في عمله الصحفي . فقد جمع بين صفتين ، قلّ ان يحسن انسان الجمع بينهما كما فعل تقلا باشا . وأعني بهما صفة صاحب العمل الرأسمالي ، وصديق العمال الاشتراكي . لم يكن أحد ممن اشتغلوا معه يضيق به ولا برأسه . كان مع دفته وحرصه على مصلحة العمل ، يشعر الجميع بأنهم يعملون لا أنفسهم وليس له . ومن هنا كان حرصه الدائم على ان يشعر الكل بأن « الاهرام » لهم ، جريدتهم كما هي جريدته بل أكثر مما هي جريدته

وقد وضع « للأهرام » في هذا الصدد طائفة من التقاليد . فلم يكن من سياسته ، قط ان يستغني عن أحد ، بل كان من سياسته دائماً ان يحتضن الجميع ويستبقي الجميع ، ويحاول اصلاح من يبدو انه فاسد ، وتشجيع من يبدو انه متكاسل ، فكان بهذا الروح الطيب الخير ، القوة الهائلة الدافعة وراء ما كينة « الاهرام » الضخمة ، يجعلها تعمل وتنتج في جدٍّ وسكون وصبر وابتسام

وكان يؤثر في استخدام عماله وموظفيه ومحبيه ذوي من كانت لهم صلة عمل سابقة « بالاهرام » فأولادهم واخوتهم مقدمون عنده على من عداهم ، يؤثرهم ببره وعطفه ورعايته وأحسبه لم يكن في ذلك متصنعاً ، بل كان جاريّاً مع سجية أصيلة فيه . فقد كان الوفاء بعض خلقه . الوفاء للاهل والاقارب والصحاب والوطن ، بل الوفاء للامكنة والرسوم والحيطان ومن كان يستمع اليه وهو يتحدث عن أمه وأبيه ، عن تأسيس « الاهرام » وجهد مؤسسه يشعر ان الرجل يفيض برّاً بأبويه كما يفيض برّاً بما ورثاه - « الاهرام » العزيز . ظلّ صديقاً لاصدقائهما ، محباً لمن كانا يحبّان ، دائم الذكر لهما والاشادة بفضلهما عليه وعلى الاهرام

ولم تكن عين تقلا باشا على مصر فحسب ، بل كانت على العالم كله يجب أن يوثق الصلات بينهما ، فلا تظل مصر متخلفة عن موكب الحضارة . ولذلك عني عناية خاصة بقسم الانباء الخارجية في جريدته ، وجعل لها في أهم العواصم العالمية مراسلين ، اختارهم من صفوة رجال الصحافة فيها ذوي المقام المحترم والسكينة الملحوظة ، ولم يدخر في سبيل ذلك - على عادته - جهداً ولا مالاً . كان ثمة هدف يضعه أمام عينيه ، فلا بد أن يحققه مهما يكن الثمن باهظاً .



وقد حققه وكفل لقراء العربية خلاصة وافية لأهم الأنباء الخارجية في السياسة والاقتصاد والاجتماع والآداب والفنون

وكان تقلا باشا مخبراً من الطراز الاول ، يوجه مخبريه ومندوبيه ، ويرسم لهم الطريق الصحيح للصحافة الاخبارية الراقية . يدلمهم على المصادر التي يستقى منها الخبر ، والوسيلة اليها ، ثم على الاسلوب الذي يكتب به الخبر . وكان يراجع كل ما ينشر في « الاهرام » اذا تولى رئاسة التحرير في غيبة الاستاذ انطون الجميل بك ، فكان يمسك بيده قلماً ضخماً أحمر أو أخضر ، ويلقي نظرة على الورقة ، وسرمان ما يضع قلمه على الخطأ الذي يراه ، أو على الملاحظة التي تعن له . فاذا أردت أن تقرأ بالنعام ، وأردت أن تلاحظ الخطأ أو توجه الملاحظة وأنفقت أربعة أمثال الوقت الذي أنفقه تقلا باشا في النظر الى الورقة ، لم تجد غير ما وجده تقلا باشا . ذلك انه كان دقيق الحس ، صادق النظرة ، سريع الفهم ، ملتزم الذكاء ، فلم يكن يحتاج إلا الى ربع الوقت الذي يحتاج اليه غيره ليفهم ما يفهمه ويلاحظ ما يلاحظه وينجز ما ينجزه

وكان حبه للاستاذ انطون الجميل بك واحترامه إياه بعض مظاهر تقديره للخلق الفاضل والكفاية الزهية . جاءه يوماً طلاب جامعة فؤاد من القاهنيين بمشروع القرش ، طالبين اليه ان يبرع للمشروع على عادته كل سنة ، فسأل بكم تبرع رئيس تحرير « الاهرام » فقالوا له بجنيهين فقال وأنا أيضاً أتبرع بجنيهين

\*\*\*

فالمصاب بوفاة تقلا باشا ليس مصاب الصحافة العربية فحسب ، ولكنه مصاب الأخلاق الكريمة القويمة ، والشخصية الناجحة المسيطرة في غير عجب ولا غرور ، الموجهة في غير من ولا زهو ، العاملة في غير ضجة ولا اعلان . وقد أحس الجميع فقده احساساً عميقاً ، من عرفوه ومن لم يعرفوه ، وانتظمت جنازته كبراء الدولة في المناصب الرسمية ، وفي مراكز القيادة الشعبية والتوجيه القومي . لم يبق في مصر رجل ذو مقام لم يعز في تقلا باشا ، ولم بأسف لوفاته ، فكان يومها يوم حداد عام

وقد طويت ، بموت جسده ، صفحة حياته العاملة بيننا ، ولكن ذكره سيظل خالداً أبداً الدهر . وحينما يكتب الكاتبون تاريخ الصحافة المصرية ، بل الصحافة العربية ، سيجعلون لتقلا باشا صفحة من أزهى صفحاتها . فقد كان من أوائل الذين كفلوا لها المقام الذي بلغته . لم يعطها ماله فحسب ، ولكن أعطاها قلبه وعقله ، ووهب لها آخر العمر حياته ، فأضفت عليه المجد الذي لم تضفه على أحد قبله .



# استكشاف الطائرات

بالأشعة تحت الأحمر

وبأمواج الراديو القصيرة

لا تزال الاحوال الجوية من أعدي عداء الطيران على مقربة من سطح الأرض. حتى السفن الجوية الكبيرة الحديثة التي أعدت للطيران على ارتفاع عظيم، يتعين عليها ان تتجاذبي صعودها وهبوطها، طبقات من الهواء تضرب فيها احوال الجو. والضباب من أعظم حالات الجو خطراً على الطائرات. ولكن العلماء مكّنوا للطيارين من احتراق الضباب فكأنهم ينظرون من خلال زجاج صاف شفاف

فقد جرب الطيارون مثلاً تصوير بقعة ما على سطح الأرض تصويراً ضوئياً دقيقاً برغم طبق من الضباب — أو ما ظنّ ضباباً — يحول بين الطائرة والأرض. ولو كان الاعتماد على أشعة الضوء المألوف في هذا التصوير لكان متعذراً، ولكن أشعة الضوء الذي تحت الأحمر جعل ذلك التصوير مستطاعاً

وقد أفضت تجارب من هذا القبيل الى الاعتقاد بأن الأشعة التي تحت الأحمر تحترق الضباب. وصنع جهاز خاص لتصوير صور بها على «فلم» خاص وتثبيته وتظهره بسرعة ومن تلقاء ذاته ووضع هذا الجهاز في مقدّم الطائرة فيستعين به الطيار في الهبوط الى الأرض بغير مشقة أو خطر عندما يكون الضباب يحجبها

ولكن الحقيقة ان الأشعة التي تحت الأحمر لا تحترق الضباب

\*\*\*

فالاعتقاد الشائع بأن الأشعة التي تحت الأحمر تحترق الضباب كان قائماً على صور أثبتت ان هذه الأشعة تستطيع أن تحترق الهباء المنثور في الهواء — لا الضباب — وعلى سوء استعمال قاعدة علمية تصف سير أشعة الضوء في جو انتشرت فيه دقائق صغيرة. وهذه القاعدة تصح، اذا كان حجم هذه الدقائق من رتبة طول أمواج الضوء. وحجم دقائق الهباء المنثور في الهواء من هذه الرتبة. ولكن دقائق الضباب تفوق دقائق الهباء خمسمائة ضعف. وكل منها يبلغ قطرها ستة أجزاء من مائة جزء من البوصة. واذن فلا بد من استعمال أمواج من الضوء طولها من رتبة قطر هذه الدقائق، لا خترق الضباب. وأدهى من هذا ان الأمواج الطويلة



— نسبياً — القدرة على اختراق الضباب ، على أساس هذه القاعدة ، تمتصها الغازات التي في الهواء فتضيع فائدتها

ولكن اذا كانت الاشعة التي تحت الاحمر عاجزة عن اختراق ضباب كثيف ، فان لها فوائد جمة أخرى . منها كشف طائراتٍ معادية أو سفن معادية عند اقبالها في الليل بغير أضواء ترى

تصدر الأمواج التي تحت الاحمر عن جسمٍ حامٍ . وهي أمواج لا ترى لأن العين لا تحس إحساساً بصرياً بأمواج ما تحت اللون الأحمر في الطيف ، وهي أمواج أطول من أمواج اللون الأحمر . والاسطوانات الحامية في محرك طائرةٍ ، أو مداخن سفينة ، تطلق هذه الأمواج — أمواج الضوء الذي تحت الاحمر — وكذلك الغازات الحامية الخارجة من أنابيب العادم في طائرةٍ أو سيارة

ولما كانت الأمواج التي تحت الاحمر متصفة بخواص أمواج الضوء المألوف ، ففي الوسع جمعها في نقطة واحدة بوساطة عدسةٍ أو مرآة مقعرة ، وبذلك يمكن تكوين شبح أو صورة للجسم الذي يطلقها أو يعكسها . وكان لابداً من استنباط وسائل ، لجعل الشبح أو الصورة مما تراه العين . واحدى هذه الوسائل استنبطها الباحث زوروكين وأقامها على أساس من استعمال الكهبريات . فثمة عدسة تجمع الضوء الذي تحت الاحمر ، المنطلق من جسمٍ ما ، وتصنع شبحاً له على لوح من الفلز مغطى بطبقة من الفضة والسيزيوم والاكسجين

فعندما تقع الاشعة على هذا الغشاء ، تتأثر ذراته بها فتطير منها كهبرياته وهذه الكهبريات تجمع بأملوب خاص شبيه بما يتم في التلغز المستقبل ، على لوح من زجاج تغشاه مادة تتألق بتأثير الكهبريات ، وعندئذٍ يظهر الشبح . وبهذه الوسيلة تستطيع ان ترى طائرة مقبلة ، اي ترى صورة محركاتها التي تطلق اشعة تحت الاحمر

وهناك طريقة أخرى أدنى وأسهل اخترعها رجل يدعى روسكو جورج مساعد استاذ الهندسة الكهربائية في جامعة پرديو . وقد قام اختراعه على ملاحظة بعض المواد التي من قبيل الفضة والسيزيوم في جهاز في زوروكين ، وأنها تبقى متألفة بعد وقوع الاشعة عليها — سواء كانت أشعة الضوء المرئي أو الاشعة التي فوق البنفسجي وهي قصيرة لا تراها العين لقصرها — وتأثيرها فيها . وكما تؤثر هذه الاشعة في هذه المواد فتتألق مدة ما بعد انحجاب الاشعة ، تؤثر فيها كذلك الكهبريات والاشعة السينية . اي ان هذه المواد تخزن الطاقة ثم تطلقها بعد انحجاب الاشعة ، أو تيارات الكهبريات الموجهة اليها . وهذه الظاهرة تعرف بظاهرة « الفصفرة » Phosphorescence ولكن اذا عرضت للاشعة التي تحت



الاحمر ، كان إطلاقها للطاقة المخزونة فيها أسرع مما يكون عادة أي انك تستطيع ان تعرض لوحاً مفصّلاً لضوء الشمس ، ثم تدخله حجرة معتمة فيتألق فيها . ولكن اذا عرضته في الحجرة المعتمة للأشعة التي تحت الأحمر ، اشتدّ تألقه ، وان كان زمن تألقه أقصر مما يكون عادة

فجهاز روسكو جورج ، قائم على جمع الأشعة التي تحت الأحمر ، الصادرة من جسم بعيد كأشعة شبح طائرة مقبلة ، على لوح مفصّفر . وتكون اداة جمع الأشعة مرآة مقعّرة فكأن الجهاز كله مرقب فلكي من النوع العاكس . فداخل الرقب مصدر للضوء الذي فوق البنفسجي . . هذا الضوء موجه الى اللوح المفصّفر فيتألق تألقاً ضعيفاً . ولكن البقعة من اللوح التي تقع عليها الأشعة التي تحت الأحمر ، تتألق تألقاً قوياً فتتميّز عن سائر اللوح على انه اذا كانت الأشعة التي تحت الأحمر ، عاجزة عن اختراق الضباب ، فان أمواج الراديو القصيرة المنتهية في القصر تحترق ، وهي أطول من الأشعة التي تحت الأحمر مراراً .

وتوليد أمواج الراديو القصيرة ، مستطاع بغير طريقة واحدة ، ومنها طريقة جهاز يدعى كليسترون Klystron صنع اولاً في جامعة ستانفورد الاميركية والثانية جهاز يدعى ماجنترون صنع في الشركة الكهربائية العامة

ان الأمواج التي يولدها هذان الجهازان يبلغ طولها عشرين بوصة وهي أقصر كثيراً من الأمواج المستعملة في الاذاعة اللاسلكية . وهي تنصف بكثير من خواص الضوء . ومن هذه الخواص انها تعكس ، فحسم طائرة مصنوعة من المعدن يعكسها . وجهاز من هذا القبيل تمكن أحد رجال القوات المسلحة الاميركية في پرل هاربر ، من تبين الطائرات اليابانية المقبلة للغارة في صباح ٧ ديسمبر ١٩٤١ ، وكانت الطائرات لا تزال على ١٣٠ ميلاً . أما لم تمتق الغارة بعد الا نباء باقبال الطائرات فليس اللوم فيه على الجهاز . ومبدأ هذين الجهازين هو كذلك مبدأ النظام الذي استعمل في تبين الطائرات المغيرة على بريطانيا اولاً ثم على مالطة في إجادة تسديد القذائف اليها من المدافع المضادة للطائرات وتوجيه الطائرات المطاردة الليلية اليها . وأجهزة من هذا القبيل تمكن أصحابها من معرفة اتجاه الطائرة المقبلة وسرعتها وارتفاعها كما تمكن سفينة حربية مجهزة به من تبين سفينة معادية اذ تكون بعيدة لا ترى بالعين أو بالمنظار فتقذفها قذفاً محكماً ، بغير ان يدوي رجال السفينة المعادية من اين جاءتهم القنابل ، وبغير ان يسمعوا قصف المدافع التي أطلقتها

أما تفاصيل هذه الاجهزة فن الاسرار الحربية المكتومة ، وليس ثمة ريب في انها ستغدو بعد الحرب من وسائل تأمين السفر في الجو والبحر



# نفس الطغاة

في ضوء علم النفس التحليلي

لعلي آدم

— ١ —

يزعم الماركسيون ان الافراد لا يقام لهم وزن في سير التاريخ ، وان القوى الاقتصادية والاجتماعية هي التي ترسم الخطط ، وتوجه المصائر ، وتحقق الغايات ، في المدى الواسع والحركات الشاملة ، سواء عاش من عاش أو مات من مات . ولكن الواقع ان الاحداث السياسية الكبرى هي في الغالب نتيجة للتفاعل المستمر بين الاحوال المادية والاهواء البشرية ، وربما كان هناك شيء من الاسراف فيما يعزوه بعض المفكرين الى ما كان لانف كليبوطرة من خطر الشأن في الحركة التاريخية ، ولكن مما لا يكاد يختلف عليه انه لولا تمكين الالمان للزعيم لينين من الوصول الى روسيا في أواخر الحرب العالمية الاولى لما كانت الثورة الروسية ، او لتأخر حدوثها واخذت صورة غير صورتها المعهودة ، ولا يمكن ان يفسر التاريخ من ناحية واحدة تفسيراً صادقاً ، ولا مفر لمن يحاول أن يستقري أسبابه ويتعرف بواعثه من ان ينظر اليه من زوايا مختلفة ، ويصطنع اساليب متعددة

وفي اعتقادي ان هتلر زعيم الالمان في العصر الحاضر من الاشخاص الذي وسموا الحوادث بمسهم الخاص ، وأثروا في مجرى التاريخ . وقد تختلف الآراء في تقدير مواهبه ، وتحليل اخلاقه ، وتعدد صفاته ، ولكن لا يمكن انكار شخصيته الفذة ، وتأثيره البعيد . فلولا ما وقعت هذه الحرب الطاحنة ، او على اقل تقدير لما وقعت على النمط المعروف ، واصطبغت بالصبغة التي تبدت بها . وقد لا يكون الوقت الحاضر هو أنسب الاوقات لاصدار الاحكام على هتلر ، ووضع في الميزان ، ولكن لا نزاع في ان لآراء معاصريه في نقد اعماله ، ووصف اخلاقه ، وفهم شخصيته ، شأننا يذكر ، وقيمة لا تنكر ، وسيفيد التاريخ من أمثال هذه الآراء ويستشهد بها ويرجع اليها في تقرير احكامه بعد التحيص والمراجعة والمقابلة والموازنة . وبما يزيد في قيمة أمثال هذه الآراء أن يكون مصدرها أحد العلماء البارزين المشهود لهم بنزاهة القصد وصدق



التحري وثقوب الفكر . ومن هؤلاء المفكرين الذين تناولوا شخصية هتلر بالتحليل الدقيق والكشف الفاحص الدكتور يونج ، وهو أحد علماء علم النفس الاعلام ، وفي طلبه تلامذة العلامة الكبير فرويد ، وقد اختلف مع استاذة واستقل بمذهبه الخاص وأسلوبه الممتاز مثل ضريبه العلامة ادلر . قال عنه الدوس هكسلي : « يونج يوحى الى الانسان الثقة به والاطمئنان اليه لانه عالم نفسي بالطبع والصنعة ، ويخالجك في اثناء قراءة كتبه الشعور بأنك في حضرة رجل يفهم الكائنات البشرية فهماً لا تشوبه الشوائب ويدرك كنهها ببصيرة نفاذة كالبصيرة التي يهتدى بها في فهم الناس الروائيون من طراز تولستوي ودستوفسكي ، ولست أعرف عالماً نفسياً آخر يثير في نفسي مثل هذا الشعور ، وغيره من علماء النفس يعرفون واجبه ، ولكن يونج على ما يلوح لي يفهم بكل كيانه لا بعقله فحسب ، وهو الى جانب معرفته بالنفس الانسانية المستمدة من البصيرة محلل قدير وفيلسوف وعالم ، والعالم النفسي الذي يستطيع ان يحدثنا بشيء له قيمة يلزم ان يكون صاحب مواهب متعددة »

## - ٢ -

وفي اكتوبر سنة ١٩٣٨ بعد اعتداء هتلر على الجمهورية التشيكوسلوفاكية ذهب الى زيورخ الكاتب الصحفي الاميركي البارع نيكرو بوكر ، وقصد الى العلامة يونج ليستوضح رأيه في هتلر ، وكان يعلم ان مثل هذه الشخصية العجيبة لا بد ان تكون قد شغلت بال هذا العالم النفسي الكبير وأثارت تفكيره ، وفعللاً علم منه انه درس شخصية هتلر سنوات عدة ، ولما سأل نيكرو بوكر عن سر قوة هتلر أجابه بما يأتي : -

الرجال الاقوياء في المجتمع البدائي نوحان ، النوع الاول الزعيم وقوته عضوية فهو أقوى من مناظريه جميعهم ، والنوع الثاني رجل الطب الروحي وهو ليس قوياً بنفسه وانما مصدر قوته ، تلك القوة التي يمنحه الناس إياها ، ومن ثم عندنا « الامبراطور » و « البابا »

وهتلر من طراز رجال الطب الروحي ، وجسمه لا يوحى القوة ، والخاصة البارزة في حياءه هي نظراته الحاملة ، وقد استرعى نظري هذا بوجه خاص عند مشاهدتي للصور الشمسية التي أخذت له عند حدوث أزمة تشيكوسلوفاكيا ، فقد لمحت في عينيه نظرة « الرائي العارف » وهنا وجه اليه نيكرو بوكر هذا السؤال « ليس لهتلر تأثير ما في أجنبي على حين ان كل فرد ألماني يكاد يخر أمامه ساجداً ويعبده عبادة ، فكيف ذلك ؟ »

فوافق على ذلك الدكتور يونج وقال هذا صحيح ، وقليل من الأجانب يتأثرون به ويستجيبون له ، والالمان على نقبض ذلك ، وسبب هذا ان هتلر هو مرآة العقل الباطن لكل



الماني، ولكنه بطبيعة الحال لا ينعكس في نفسه شيء من غير الالمان وهو مكبر الصوت الذي يضخم الهمسات غير المسموعة للروح الالمانية فيصل سمعها الى الاذن الالمانية الواعية، وهو الرجل الذي يطالع كل الماني بما يشعر به في ثنايا عقله الباطن عن مصير المانيا وبخاصة منذ هزيمتها في الحرب العالمية، والطابع الذي غلب على الروح الالمانية هو « عقدة النقص » التي يشعر بها الاخ الاصغر أو الفرد الذي يحضر دائماً المأدبة متأخراً قليلاً، وليست قوة هتلر سياسية وانما هي سحرية

ولاجل أن نفهم السحر يلزم أن نفهم العقل الباطن، والعقل الباطن جزء من تكويننا العقلي ليست لنا عليه سوى سيطرة يسيرة، وهو حافل بضروب التأثيرات والاحاسيس، وهو يحوي أفكاراً وألواناً من الاستنباط لا ندري عنها شيئاً، وعلاوة على المؤثرات الواعية التي تتناب حواسنا فانها تتلقى كذلك مؤثرات لا تعيها ولا تدركها لانها طفيفة لا تسترعي انتباهنا الواعي، وهي تكمن وتستخفي وراء مدخل الوعي، وجميع هذه المؤثرات غير الواعية تثبت وجودها في سجل العقل الباطن ولا يفقد منها شيء، وقد يتحدث بعض الناس بصوت خفيض لا يكاد يسمع في الحجرة المجاورة ولا نعيه نحن اهتماماً خلال تحدثنا في هذه الحجرة ولكن المحادثة مع ذلك تسجل في عقلنا الباطن

وليس سر قوة هتلر في ان عقله الباطن يحوي من القوة المذخورة اكثر مما عندك أو عندي، وانما سر قوته له وجهان، الاول هو ان عقله الباطن متصل بعقله الواعي اتصالاً شديداً غير مألوف، والثاني هو انه يسترسل مع وحي عقله الباطن ويتأثر به ويخضع له، فهو كالذي يصغى الى احياءات متواترة منبعثة من مصدر خفي في صوت مهموس ويعمل وفقها

وأما نحن فقد نتلقى أشياء من عقلنا الباطن بطريق الاحلام، ولكن لنا من عقولنا وتفكيرنا ما يحول بيننا وبين الانقياد له وتبليته رغائبه، أما هتلر فانه يصغي ويولي الطلب والزعيم الحق دائماً « يُقاد »

ونحن نستطيع أن نلاحظ تأثره بذلك الصوت الخفي ونلمح أثره فيه، وقد أشار هو إلى ذلك، وليس هذا الصوت سوى صوت عقله الباطن الذي ادمج فيه الالمان نفوسهم، أي العقل الباطن لثمانية وسبعين مليوناً من الالمان، وهذا هو ما يجعل هتلر قوياً، وهو لاشيء بدون الشعب الالمانى، وهو صادق الصدق كله عندما يقرر انه يعمل ما يعمل لان الشعب الالمانى يؤيده ويشد أزره، أو كما يقول هو في بعض الاحايين « لانه هو المانيا » فهو قوي بعقله الباطن وكون هذا العقل وعاء لأرواح ثمانية وسبعين مليوناً من الالمان، وشعوره



اللاواعي بالتوازن الحقيقي بين القوى السياسية في بلاده والقوى السياسية في العالم لم يخطئ  
حتى الآن (١٩٣٨)

وهذا هو السبب في أنه يصدر احكاماً سياسية صحيحة تزييف آراء مستشاريه وتخطئ  
آراء الاجانب الذين يراقبون سير الاحوال ، ومعنى ذلك ان المعلومات التي جمعها عقله الباطن ،  
وتسلت الى عقله الواعي ، عن طريق تلك الموهبة الخارقة كانت أدنى الى الحق وأقرب  
الى الصواب من المعلومات التي جمعها غيره من الناس سواء كانوا من الالمان او الاجانب  
الذين حاولوا ان يحكموا على الموقف وانتهوا الى نتائج مخالفة للنتائج التي انتهى هو اليها »  
ولم يكن هتلر حينذاك قد التهم تشيكوسلوفاكيا برمتها ، وقال نيكر بوكر للدكتور  
يونيغ « لو استمر صوت هتلر الداخلي على صواب دائماً لأصبحنا في عصر يثير الاهتمام الى  
أقصى حد »

فأجاب الدكتور يونيغ وقد بدت على وجهه أمارات الاهتمام « نعم ، ان الشعب الالمانى  
على ما يلوح مقتنع بأنه قد وجد منقذه او « مسيحه » وموقف الالمان يشبه من بعض الوجوه  
موقف اليهود قديماً شبيهاً يسترعي النظر .

وقد انتظر الالمان « مسيحتهم » الخالص منذ هزيمتهم في الحرب العالمية ، وهذا من  
خصائص الأقوام المصابين بعقدة النقص ، وقد أصابت اليهود عقدة النقص من جراء عوامل  
جغرافية وسياسية ، فقد كانوا يعيشون في ناحية من العالم مستهدفة لغزوات الفاتحين من  
الناحيتين ، وبعد عودتهم من السبي الاول الى بابل كان الرومان يهددونهم باستئصالهم وقطع  
دابرهم فابتكروا فكرة « المسيح » ليتعزوا بها ، وكان هذا « المسيح » هو الذي سيجمع شملهم  
ويتم وحدتهم وينقذهم

وقد أصابت الالمان عقدة النقص من أسباب مشابهة لذلك ، فقد قدموا من وادي  
الدانوب متأخرين ، وعندما بدأت تتكوّن حياتهم القومية كانت حياة الانكليز والفرنسيين  
القومية قد اكتملت ونضجت ، وشرع الالمان في البحث عن المستعمرات ومحاولة وضع  
أسس امبراطورية جد متأخرين ، ولما تمت وحدتهم وأصبحوا أمة واحدة أداروا الطرف  
حولهم فرأوا الانكليز والفرنسيين وغيرهم من الامم تملك المستعمرات الغنية ، والعدة الكاملة ،  
فاستولت عليهم الغيرة ، واشتد بهم الحقد ، وهم مثل الأخ الاصغر الذي أخذ اخوته الأكبر  
منه سناً نصيب الأسد من الميراث

وهكذا كان الالمان يغطون في النوم اثناء تقسيم العالم الى امبراطوريات استعمارية ،  
ومن ثم لحقتهم عقدة النقص وجعلتهم ينزعون الى الحرب العالمية ، ولما خسروا هذه الحرب



ساعت حالة عقدة النقص الكامنة في نفوسهم ، وتفاقت العلة ، وقويت رغبتهم في ظهور المنقذ المنتظر ، فكان لهم هتلر ، وإذا لم يكن هو مسيحهم الحق فانه يشبه أحد انبياء كتاب العهد القديم ( التوراة ) ورسائله هي ان يضم شمل قومه ويقودهم الى أرض الميعاد ، وهذا يفسر لنا لماذا كان النازي يحاربون كل لون من ألوان الدين يناظر عبادتهم وتقديسهم لزعيمهم ولست أشك في أن الحملة على الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية مستمرة بلا هوادة ولا توقف ، وسبب ذلك معقول من وجهة النظر النازية ، فهم يريدون أن يحل محل هذه المذاهب العقيدة الهتلرية الجديدة

وروى الدكتور يونج انه شاهد هتلر عن قرب عند مقابلته لموسوليني في برلين فقال : كنت على كשב من الرجلين ، وأستطيع أن أدرسهما دراسة دقيقة ، وبدأ لي ان هتلر بالقياس الى موسوليني كأنه آلة تدور بقوة محرّكة من الداخل ، ففي خلال فترة المقابلة لم يتسم قط وكان كأنه حائق متعكر المزاج ، ولم يظهر ما يدل على انه انسان

« وكان المعنى الذي يلوح على وجهه هو شدة تصميمه على الاتجاه الى هدفه المقصود تصميماً لا تشوبه روح الفكاهة ، وبدأ كأنه صورة أخرى لشخص حقيقي ، وإن هتلر الرجل ربما كان محتبئاً في الداخل كأنه ملحق أو هامش وانه يعتمد ذلك حتى لا يعوق سير الآلة

ولا تشعر في حضرة هتلر انك مع رجل ، وإنما أنت في حضرة طبيب نفسي ، فيغشاك الخوف وتدرّك انك لا تستطيع أن تتحدث الى هذا الرجل لانه ليس هناك انسان ، فهو ليس رجلاً وإنما هو « جماعة » وليس هو فرداً وإنما هو « أمة » برمتها ، وأنا أصدق كل التصديق انه ليس له صديق شخصي ، وكيف تستطيع أن تتحدث حديثاً بلا كلفة مع أمة ؟

ثم استرسل يونج يقول : وأنت تعرف انك اذا جمعت في صعيد واحد مائة شخص من أوفر الناس ذكاءً تكون منهم جمهور سخيف ، واذا اجتمع منهم عشرة آلاف كان لهم عقل تمساح ، ألم تلاحظ انه كلما كثر عدد المدعويين على المائدة سخف الحديث ؟ وفي الجماعات تتضاعف الصفات المشاعة المشتركة بين الناس وتتكدّس وتصحح هي خاصة الجماعة كلها

وليس في كل انسان فضائل ، وإنما كل انسان له غرائزه الحيوانية الوضيعة ، وفيه إيماءات انسان الكهوف البدائي وفيه سمات المستوحش السبيء الظن النزاع الى الشر ، والنتيجة المحتومة لذلك هي انه متى تمت وحدة شعب مكون من ملايين كثيرة من الناس فهو ليس انساناً وإنما هو برص او تمساح أو ذئب ، ورجال السياسة في هذا الشعب لا يرتفعون عن مستوى آداب الحيوانية ، ولو ان السياميين في الحكومات الديمقراطية قد يرتفعون قليلاً في سلوكهم فوق هذا المستوى ، وليس في وسع هتلر ان يبر بعهد قطعه على نفسه أو ان يحترم اتفاقاً ،



او يحافظ على معاهدة اذا كان في ذلك ما يفوت على المانيا مصلحة ما وذلك لانه هتلر هو الامة الالمانية »

### — ٣ —

هذا هو رأي الدكتور يونج في هتلر وسر قوته وتعليل تأثيره في نفوس الالمان ، كما رواه الصحفي نيكرو بوكر

ويرى «جون جسنر» ان اكثر الحاكين بأمرهم من الشواذ لان الرجل العادي لا يستطيع ان يحتمل تبعة حكم امة من الامم حكماً استبدادياً ، وعنده ان الحاكين بأمرهم مصابون في أعصابهم . فكمال اتاتورك كانت حياته عاصفة مضطربة ، ودولفوس كان شديد الشعور بأنه قزم قبيح ، وموسوليني مجنون بالقوة وأقربهم الى صحة الجسم وسلامة الاعصاب ستالين ولكنه كان في صباه من الثوار الذين يلقون القنابل

وقد فسّر العلامة النفسي النمساوي الدكتور ستينكل نفسية الطغاة بأنهم مصابون «بعقدة السيادة» وهو يرى ان تعليل ذلك يلزم ان يبدأ بالطفل والعمل على فهم ميوله ونواذعه . ففي كل طفل صراع بين غرائزه الخاصة والدروس التي يتلقاها من الخارج ، فالطفل مثلاً يجب أن يكون قذراً ، ولكننا نرغمه على ان يكون نظيفاً ، والتربية الى حد كبير مجهود يبذل لصياغة الطفل في قالب جديد وكبت غرائزه الاصلية ، وهي تعتمد على تقرير السلطة ولذا تصبح السلطة هي عدوة الطفل لان معناها اهدار حقوق غرائزه وقمعها

والسلطة الاولى هي سلطة الوالدين ، فهما اذا كانا ضعيفين وكان الطفل متحدياً للسلطة خارجاً على الاوامر والنواهي ظهرت سلطات اخرى لكبح جماحه والحد من طغيانه وهي سلطة اطفال أكبر منه سنّاً وسلطة المدرس وفي بعض الاوقات سلطة القانون ثم سلطة الدين وهي فوق جميع هذه السلطات . ومنذ سنة ١٩١٤ أخذت تتحلل عقدة السلطة . ومن الواضح المعروف ان الأسرة ليست في العصر الحاضر هي الوحدة المقدسة كما كانت في الماضي والآباء انفسهم لا يستجيبون الآن لمعايير الآداب التي يحاولون فرضها على ابنائهم . وقد كان ذلك متعباً في شق الاطفال عصا الطاعة وتمردهم على آباءهم ، وقد ضعفت كذلك سلطة المدرس فأصبح الاولاد لا يأخذون المدرس مأخذ الجد . وقد أضعفت الحرب الكبرى السلطة الدولية وتأثر بذلك القانون والنظام في حيز الحدود القومية وأغرق العالم طوفان من الجرائم وخاصة في أميركا ، وأخذ الشبان بعد ذلك يتساءلون « كيف نؤمن بالله الذي سمح بحدوث مثل هذه الحرب الشعواء وقتل ملايين البشر ؟ » وهكذا ضعفت نظرية السلطة وتحطم بناء العقيدة



واستمتع ذلك بضرورة الحال هبوب طائفة الطغاة ، فأمثال هتلر وموسوليني يقومون مقام الآباء وقد ينقم الناس سلطتهم ولكنهم لا يستطيعون أن يعيشوا بدونهم وقد وجد الطفل الحديث ان والديه غير جديرين بالطاعة فأخذ يبحث عن قائد محترم وامام رشيد فانتقل مركز السلطة الى خارج المنزل

ولكن لماذا لا يخرج الفرد على سلطة الزعيم كما خرج على سلطة الوالد ؟  
يرى العلامة ستيكل ان شك الفرد في ان الزعيم غير معصوم يقل ويضعف كلما كثر انصار الزعيم ، وقويت شوكرته ، واستفحل نفوذه ، وكلما كثرت الجموع الملتفة حول الزعيم قلت الحاجة الى الشك في قوته وعمّ البلاد تمجيدده وخرّت الأمة كلها عند اقدامه ويقول ستيكل انه كلما تكاثرت الناس حول الزعيم استحال شعورهم بالنقص شعوراً بالنفوق ، وذلك لأنهم يضعون انفسهم في مكان الزعيم ، ويقاسمونهُ سلطته ، ويخلطون انفسهم به ، ويصبحون منه ويصبح هو منهم ، ويشاركونهُ في « عقدة السلطة » . والامان يقولون انهم لا يحاربون من أجل هتلر وانما هتلر هو الذي يحارب من اجلهم ، وموسوليني لا يطلب القوة لنفسه وانما من أجل ايطاليا اي من أجل ايطاليين آخرين وهكذا يلتقي الخضوع والتحدي ، ويمتزج الحب والكراهة ، ويصبح الطاغية المستبد هو المنقذ وأكثر الطغاة تمرّدوا في طفولتهم على سلطة آبائهم ، وقد وهبوا عقلاً أرجح وأسمى وارادة أسمى وأقوى ولذا نجحت ثورتهم بعد الطفولة البائسة والحرمان المؤلم وتأثروا لأنفسهم وانتقموا لما لحقهم من الالهانة وسوء المعاملة وأخذوا يفرضون سلطتهم على الغير ويعنفون الناس وأصبحوا آباء للوطن بأسره لا للأسرة وحدها

واكثر طغاة العصر الحديث ولدوا فقراء فوسوليني وهتلر كانا في فقر مدقع ، وبعض الطغاة كانت طفولتهم مرة قاسية مثل هتلر ، ودولفس كان من أصل وضع ، وقد استعاضوا عن مرارة طفولتهم بالبحث عن القوة وطلب المجد والشهرة

ولكن لماذا يصل الطغاة الى السلطة في يسر وسهولة حتى كأن الاقدار تسدد خطواتهم وتمهد لهم السبيل وتذل العقبات ؟

السبب في ذلك هو اننا نحن الأشخاص العاديين نحاول ان نلقي عبء كل أزمة على شيء ما ، وأقرب شيء نراه وأيسره هو النظم التي نعيش في ظلها ، ولذلك ينقدح الشك في تلك النظم وتزول قداستها وتسقط وتنهار ، ويخلو الطريق للطاغية ، ويسهل بعد ذلك عليه الاحتفاظ بقوته لأن قوة السلاح كمينية في نظامه والبشر كما يقول ستيكل « يحبون أن يخوفوا »



# الوزارة والوزراء<sup>(١)</sup>

في عصور مختلفة من الاسلام

لمحمد عبد الغني حسن

لم ترد كلمة « الوزارة » فيما نعرف من كلام العرب في الجاهلية شعراً أو نثراً ، وقد ورد في القرآن أحد مشتقاتها وهو قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام « واجعل لي وزيراً من أهلي »

وظل هذا اللفظ غير مستعمل في بحر الاسلام وفي صدره الى أن جاءت الدولة العباسية فاستعمل ، لأن الوزارة كما يقول صاحب كتاب الفخري ( لم تتمهد قواعدها وتقرر قوانينها إلا في دولة بني العباس . فأما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد ولا مقررة القوانين بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية فإذا حدث أمر استشار بذوي الجاه والآراء الصائبة فكل منهم يجري مجرى وزير )

وقد اهتم بعض المؤلفين من المسلمين بموضوع الوزارة وأفردوا له كتباً مستقلة تبحث في تاريخ الوزارة ورسومها وأدائها وذكر طرف من أخبار الوزراء في الدول الاسلامية المختلفة . ومن هذه الكتب كتاب الوزراء الذي ألفه هلال الصابي البغدادي من مؤرخي القرن الخامس الهجري وهو مطبوع ، ومنها كتاب الوزراء والكتاب لابن عبدوس الجهمياري المتوفى في الثلث الاول من القرن الرابع الهجري . وهذا الكتاب النفيس قد طبع حديثاً في مصر أول طبعة له بالحروف على يد بعض المحققين . ومنها كتاب تاريخ الوزراء المنسوب إلى الصولي

وهناك من المؤرخين من تكلم على الوزارة في عرض كتابه . كما فعل ابن الطقطقي في كتابه الفخري في الآداب السلطانية . وكما صنع النويري المصري في كتابه المشهور نهاية الأرب في فنون الادب . على أن كثيراً من مؤلفي المطولات التاريخية كالطبري وابن الأثير والخطيب البغدادي وابن كثير صاحب البداية والنهاية وابن عساكر صاحب تاريخ دمشق



قد عرضوا لنا في خلال تاريخهم صوراً لوزراء الدول الاسلامية وسجلوا كثيراً من أخبارهم ونواديرهم وفقاً لتسلسل الحوادث

أما المؤلف العربي الذي تناول الوزارة والحديث عنها من الناحية الفنية بغض النظر عن أشخاص الوزراء وأخبارهم فهو ابن حبيب البصري الماوردي من علماء القرن الخامس الهجري ومؤلف كتاب الاحكام السلطانية . فقد عقد في كتابه هذا فصولاً فنية عن الامامة والاعتقادات ، والخلافة وتقليدها وشروطها ، والوزارة وأنواعها وما تنعقد به . كما تحدث عن مسائل أخرى من إمارة الجهاد وولاية القضاء وولاية المظالم وولاية الحج والاحكام من ناحيتها التشريعية . فكتاباه هذا يعد مجموعة من الدساتير والقوانين المعمول بها في الامة الاسلامية ، وقد رجع فيه إلى الكتاب والسنة والصحيح من القياس

\*\*\*

كان منصب الوزارة في صدر الاسلام وعصر بني أمية قائماً بالمعنى ، وإن لم يكن قائماً بالاسم ، فكان هناك من يشيرون على الخلفاء الراشدين في كل ما يعرض من أمور . وكان في أيام بني أمية كتاب يشبه عملهم من وجوه كثيرة عمل الوزراء ، إلا أن هؤلاء لم يكن لهم من التفويض والتنفيذ ما للوزراء في العصر العباسي وما تلاه من العصور . وكان هؤلاء الكتاب في العصر الاموي يلون الدواوين المختلفة التي اقتضتها طبيعة التوسع الاسلامي واتساع رقعة المملكة . فقد اتخذ معاوية ديواناً للخاتم وجعل عليه قاضياً هو عبد الله بن محمد الحميري <sup>(١)</sup> وجعل على ديوان الخراج سرجون الرومي ، وعلى ديوان الجند عمرو بن سعيد ابن العاص . واتخذ عبد الملك بن مروان كاتباً له قبيصة الخزاعي وكان خاصاً به . وبلغ من لطافة محله منه أن كان يقرأ الكتب الواردة على عبد الملك قبل أن يقرأها عبد الملك نفسه والوزارة في الاسلام نوعان : وزارة تفويض ووزارة تنفيذ <sup>(٢)</sup> فالاولى أن يستوزر الامام من يفوض اليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على اجتهاده . والثانية أضعف من الاولى وشروطها أقل لان النظر فيها مقصور على رأي الامام وتديره ، وليس للوزير الا الوساطة بين الامام والرعية والولاية يؤدي عنه ما أمر وينفذ عنه ما ذكر

ووزارة التفويض ليست استبداداً من الوزير لانه مسئول أمام الامام مما عمله وملمزم بمطالعه بما أمضاه ، كما ان الامام ملزم بتصفح أعمال الوزير ومراجعتها ليرده إذا خالف الصواب <sup>(٣)</sup>

(١) الوزراء والكتاب للجهياري: ص ٢٥ سطر ٢ (٢) الاحكام السلطانية لابن حبيب البصري الماوردي

(٣) المصدر السابق



وفرق ما بين الوزارة في الاسلام والوزارة في الامم الديمقراطية اليوم أن المسئولية الوزارية كانت في الاولى أمام الخليفة الشرعي وفي الثانية أمام المجالس النيابية التي تتمثل فيها سلطة الامة وهي مصدر السلطات

وللوزارة رسوم خاصة أشار الى بعضها الشاعر الكاتب لسان الدين بن الخطيب ، فقد كان هو نفسه وزيراً لمحمد بن يوسف سلطان بني الأحمر في غرناطة ، فوصف ما عهد إليه فيه من الأعمال بقوله ( وجددي - يعني السلطان - الرسوم الوزارية من الوقوف بين يديه في المجالس العامة وإيصال الرقاق وفصل الامر والتنفيذ للحكم والترديد بينه وبين الناس والعرض والانشاء والمواكلة والمجالسة في صف الموازة )<sup>(١)</sup> . وتختلف هذه الرسوم تبعاً لاختلاف الدولة والعصر والتقاليد . ولكن ما ذكره ابن الخطيب يصور لنا رسوم الوزارة في الاندلس في القرن الثامن الهجري

ولم يشترط في الوزير في تاريخ الامة الاسلامية أن يكون مساعداً بل أجاز علماء التشريع الاسلامي أن يكون الوزير من أهل الذمة بشرط أن يكون الذي وزيراً للتنفيذ لا للتفويض والابتطلت وزارته . واول من فعل ذلك من السلاطين عضد الدولة بن بويه . فقد اتخذ نصر بن هارون وزيراً له وكان نصرانياً . وقد سرى هذا التقليد الى مصر في العهد الفاطمي فاتخذ العزيز بالله لوزارته عيسى بن نسطورس وكان نصرانياً وبلغ من وقاره وجلال قدره أنه كان يخاطب بسيدنا الأجل . وهناك وزير فاطمي كان يهودياً ثم أسلم في عهد الأخشيدي فقلده بعض مصالح مصر<sup>(٢)</sup> . ولما جاء المعز لدين الله الفاطمي أحبه وخلع عليه خلع الوزارة في عام سنة ٣٦٨ هـ ولقبه بالوزير الأجل وهو الوزير ابن كلس

ولقد بلغ من سلطة الوزراء في بعض عصور الاسلام أنهم كانوا يتدخلون في بيعه الخليفة بحسب أهوائهم . ويروي ابن كثير أن الوزير في مطلع القرن الخامس أكرم جماعة الأتراك والمولدين والشريف المرتضي ونظام الحضرة وقاضي القضاة والشهود بالحضور لتجديد البيعة لشرف الدولة سنة ٤١٥ هـ<sup>(٣)</sup>

وكان من عمل الوزراء السفارة عن الخلفاء في المهمات السياسية أو في تزويجهم من بنات خلفاء والأمراء والملوك . ويروي ابن كثير<sup>(٤)</sup> أن الوزير الكندري وزير طغرل بك السلجوقي أرسل الى الخليفة العباسي من قبل السلطان يطلب ابنته . ومن الوزراء الذين سفروا ملوكهم

(١) المعجة البدرية في الدولة النصرية لابن الخطيب — طبع المطبعة السلفية بمصر . ص ١٠٣

(٢) الاعلام لخير الدين الزركلي ، ص ١١٧٠ ج ٣ وتاريخ الجامع الازهر لمحمد عبد الله غنان ، ص ٤٥

(٣) البداية والنهاية لابن كثير . ج ١٢ ص ١٧ (٤) المصدر نفسه . ص ٨٨ ج ١٢ وص ٨٦ ج ١٢



في مهمة سياسية لسان الدين بن الخطيب الذي سافر عن ملطانه الى السلطان أبي عنان ملك بني مرين بالعدوة ليدهم على ملك اسبانيا في القرن الثامن الهجري<sup>(١)</sup> ومنهم الوزير عميد الدولة ابن جبير وزير القائم والمقتدي في القرن الخامس الهجري فكان رسولهما الى السلاطين وكانت تنجح السفارة على يديه

وكما كان الوزراء يوفدون للزواج كانوا يجلسون للعزاء فانه لما مات جعفر بن المقتدي بالله من الخاتون بنت السلطان ملكشاه جلس الوزير في ديوان الوزارة للعزاء ثلاثة أيام . وكانت الألقاب الفخمة الجليلة تلمع على الوزراء ، فلقب علي بن المسلمة وزير الخليفة القائم بلقب رئيس الوزراء . ولقب علي بن نحر الدولة وزير المستظهر بلقب زعيم الرؤساء ، ولقب أبو الحسن بن صدقة وزير الخليفة المسترشد بلقب جلال الدين سيد الوزراء صدر الشرق والغرب ظهير أمير المؤمنين<sup>(٢)</sup> ، ولقب أبو شجاع وزير الخليفة المقتدي بظهير الدين . ويذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء أن ذلك أول حدوث التلقب بالاضافة الى كلمة « الدين » كما لقب ابن كلثوم وزير العز بالوزير الاجل . ولما بلغ ضعف الخلفاء والسلاطين حداً كبيراً صار الوزراء يلقبون بالملوك . وأول من لقب بذلك الوزير طلائع ابن رزيك في مصر فقد لقب بالملك<sup>(٣)</sup> ولقب به أيضاً أسد الدين شيركوه ، كما لقب به صلاح الدين الأيوبي لما كان وزيراً للخليفة العاضد الفاطمي ، وزيد عليه لقب الناصر . فصار اسمه الملك الناصر صلاح الدين ، وذلك قبل أن يصير اليه ملك الدولة الأيوبية

ولم يصل أحد من وزراء العباسيين الى الخلافة ، ولم يحدث أحد منهم نفسه بالوصول اليها ، لان الخلافة العباسية كانت في آل البيت من بني عباس فكان يتطال اليها الطامعون فيها من بني العباس أنفسهم . أما الوزراء انفسهم فلم يفكروا في شيء من ذلك ، وإن كانوا وصلوا في عصور الضعف العباسي الى الاستبداد بكل شيء . ولكننا نرى خارج نطاق الدولة العباسية بعض الوزراء الذين وصلوا الى الملك أو السلطنة أو الخلافة ذاتها . وأول هؤلاء الوزراء صلاح الدين الأيوبي الذي وزر للعاضد الفاطمي بعد وفاة عمه أسد الدين شيركوه . والواقع أن الخليفة العاضد لم يكن له من الأمر شيء في وزارة صلاح الدين . وكانت الخلافة اسمية فقط<sup>(٤)</sup> وأخيراً قطع صلاح الدين الخطبة باسم الخليفة الفاطمي وخطب باسم الخليفة العباسي المستضيء بالله . وبذلك انتهت دولة الفواطم في مصر . ومن الوزراء الذين وصلوا الى الملك

(١) اللوحة البدرية في الدولة النصرية - ص ٦ من المقدمة (٢) الفخري . ص ٢٧٠ (٣) البداية والنهاية ص ٢٤٢ ج ١٢ ، والسلوك للمقرئ وتاريخ مصر الحديث لجورجي زيدان ج ١ ص ٢٥٦ وما بعدها (٤) تاريخ مصر الحديث لزيدان ج ١ ص ٢٥٧ وما بعدها



الوزير ابن جهور الذي نادى بنفسه ملكاً على قرطبة بعد ان خلع هشام المعتمد بالله. وكان ذلك في النصف الاول من القرن الخامس الهجري<sup>(١)</sup>. ومن الوزراء الذين وصلوا الى الخلافة المنصور بن أبي عامر الذي اتخذ لنفسه شعار الخلافة في الاندلس في أواخر القرن الرابع الهجري<sup>(٢)</sup>.

اقتضت طبيعة الأحوال السياسية في عصور مختلفة من تاريخ المسلمين أن يتولى الوزير الوزارة أكثر من مرة. وكان للدسائس والسعيات أثر كبير في ذلك. فقد ولي علي بن الفرات الوزارة ثلاث دفعات للخليفة المقتدر العباسي في القرن الرابع الهجري<sup>(٣)</sup>. وكان من أكبر الساعين عليه الحاقدين الوزير ابن مقلة الخطاط المشهور. ولقد جوزي ابن مقلة على دسائسه شر جزاء فقطعت يده اليمنى وصودرت أملاكه. ودفعت عنه قيمة المصادرة زوجته وكانت ذات مال طائل. ومن ولي الوزارة أكثر من مرة الوزير ابن جهير. عزله الخليفة العباسي سنة ٤٦٠ هـ أول مرة ورحلته. فلما اجتاز بدار الخلافة وهو طريد قبّل الارض دفعات والخليفة في الشباك والوزير يقول: «يا أمير المؤمنين: ارحم شييتي وغرتي وأولادي». فأعيد الى الوزارة بشفاعته ابن مزيد وفرح الناس بعودته<sup>(٤)</sup>. كما أعيد ابن مقلة وأعيد الشريف الزينبي وزير المسترشد بالله العباسي. على ان لسان الدين بن الخطيب صادف عند ملوك بني الاحمر أو بني نصر بعض السعاة الذين أفسدوا بينه وبين ملكه. فاضطر الى عبور البحر والهروب الى بلاد المغرب، ولكنه عاد الى الوزارة وحظي مرة أخرى عند ملكه<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

وكان الوزراء يختارون أول الامر من أفضل الناس رأياً وأحسنهم عقلاً وأخلصهم مشورة وأفصحهم لساناً وأعرفهم بالامور وأكثرهم بصراً بالعواقب وقد اجتمعت هذه الصفات في أبي أيوب المورياتي وزير أبي جعفر المنصور. واذا تتبعنا تاريخ وزراء العباسيين الاولين وجدناهم من طراز رفيع وغرار ممتاز كالربيع بن يونس وزير المنصور، ويعقوب بن داود الذي استخلصه المهدي لنفسه لما خاطبه فراه أكل الناس عقلاً وأفضلهم سيرة، وكالبرامكة الذين اشتهر منهم يحيى وولده الفضل وجعفر وقد حملت تكاليف الوزارة وأعباؤها بعض الفضلاء على رفضها حينما عرضت عليهم ومنهم أحمد بن خالد الذي تنصل من قبولها لما عرضها عليه المأمون. ولكن المأمون اضطره الى

(١) نفح الطيب للمقري ص ١٤١ ج ١، ومذكرات في تاريخ الاندلس لحسن مراد ص ١١٤، ١١٥  
 (٢) نفح الطيب للمقري ومذكرات في تاريخ الاندلس لحسن مراد ص ٩٢ (٣) الفخري لابن الطائفي ص ٢٣٨ وما بعدها (٤) البداية والنهاية ج ١٢ ص ٩٧ (٥) الامعة البدرية في الدولة النعمانية: مقدمة الكتاب ص ٧



قبولها<sup>(١)</sup> ومنهم عبيد الله بن يحيى بن خاقان الذي استوزر للمعتد على كره شديد منه وتصل.  
ويبدو هذا غريباً إذا عرفنا أن بعض الرجال حاولوا الوصول إلى الوزارة من طريق شرائها  
بالمال. فالوزير ابن مقله بذل خمسمائة ألف دينار حتى استوزره الراضي في أوائل القرن الرابع،  
والقرايطي وزير الخليفة المتقي لم يصل إلى الوزارة إلا بعد أن وعده الخليفة بأن يضاعف  
له الأموال من العمل. وهو أغراء منه ليشتري به منصب الوزارة  
على أن من الوزراء من نال الوزارة بمجرد البخت والحظ لا الذكاء والفهم كابن مخلد  
وزير المقتدر العباسي في أوائل القرن الرابع، ومعقول أن يحدث ذلك في مثل هذا العصر  
لا قبله، فقد كان الخلفاء قبلاً يتحرون في اختيار وزراءهم

\*\*\*

وفي عصور مختلفة من الإسلام كانت بعض البيوت تشتهر باخراج الوزراء وأمداد  
الخلفاء بهم. فبيت ابن برمك مشهور بثلاثة من أبنائه الوزراء، وآل وهب اشتهر  
منهم طائفة كثيرة وزروا للمقتدر والمعتضد والمكشفي والمهتدي، وآل سهل وزر منهم  
الفضل وأخوه الحسن، وآل الفرات وزر منهم جعفر للمقتدر وابنه الفضل للراضي. وكان  
ثلاثة من آباء الحسين بن وهب وزراء وفي ذلك يقول الشاعر: —

يا وزير ابن وزير ابن وزير  
نسقا كالدر إذ نظمهم في عقد النحور<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

وفي زمن الضعف الذي طرأ على الدولة العباسية وانقسامها سقطت هيبة الخلفاء وضاعت  
صولة الوزراء، ولم يبق للخلافة رونق ولا وزارة<sup>(٣)</sup>. وتملك بنو بويه في فارس فصارت  
الوزارة من جهتهم والأعمال إليهم. كما تملك بنو حمدان في ديار بكر وربيعة ومضر. وتملك  
بنو سامان في إقليم خراسان والبلاد الشرقية وأصبحنا نرى الأصفهاني وزيراً للمتقي ولم يكن  
له في الوزارة علم ولا نظر. ونرى السامري وزيراً للمستكفي ولم يكن له حكم ولا استبداد.  
وقصرت أيام الوزراء وانتهت بالخلع والقبض والمصادرة وبلغ من ضعف الخلفاء أنهم عجزوا  
عن عزل الوزراء فهذا الوزير ابن صدقة عزله الخليفة المسترشد على غير إرادة منه، وأما  
دعاه إلى ذلك تعصب وزير السلطان السلجوقي عليه

وإذا كانت الوزارة في عصرنا هذا عبئاً ثقيلاً على الرغم من توزيعها على بضعة من  
الوزراء، فما بالك بها بالأمس وقد كانت جميع أعمالها مركزة في يد واحدة؟



## عرس في قرية

لكرم ملحم كرم

أوشك الفجر ان يزحزح لثامه لما تئأب جميل الباغي وفرك عينيه ، والنعاس لا يبرح بهم به ، وتلفت الى ما حوله ، ونهض الى مداسه النايي بجانبه فانتعله ، وتأبط عصاه الغليظة كأنها جذع سندیانة هرمة ، وشك في وسطه خنجره المسنون ومزمارة الرقيق النغم ، واندفع الى الحظيرة الساهدة على خطوات منه يلكز برأس عصاه ظهور خرفانه الجائمة في مباركها يجتاز رحبة الليل على هدهدة النهار

ووثبت الخرفان كجيش روع في هدنته . وأطلق جميل الباغي قطيعه في معابر الكروم والليل يلهم أذياله . ومعابر الكروم وعرة المسلك بصخورها وأخايدها ، نهاشة بأشواكها . تعلو كالسلام من السفح الى القمة ، ولكنها سلام معوجة خانها الانسجام دون أن يذهب بروعة الفطرة المتألقة في اضطرابها الصبيح وكأنه ربيب طفل في حبوة الزحوف

وفيا يقول الراعي في المشارف حامت عيناه على بيت اقتعد صدر تلة نهداء . بيت حقير أغبر طوقت هامته هالة من الكس الابيض فبدا كشيخ معتم زاهد في دنياء . وكلما رقي جميل مصاعد الجبل صرفه عن غنمه الحومان بمقلتيه على ذلك البيت الاعزل كالناسك في صومعة جرداء . وما أضحت الخرفان على منبسط الجبل من قبله أنظار راعيها حتى انتهرها جميل ولم تكن بحاجة الى النهرة ، وهي التزنة الصعدة ، غير ان الراعي شاء أن تعلو صيحته انداراً لمن يثوون في المنزل الساجي الغفلان

وتنفص المنزل بالجواب . ففُتحت منه نافذة شقت عن رأس أشقر الشعر كعناقيد الخريف ، أبيض الجبين كبُلجة الصباح . فارتعش جميل الباغي ووقف كالمفتون أمام رؤيا تموج بالاغراء . ونعشت الابتسامة الوهلى في شففيه ، فتمتم بليان الخجول المتقي العثار ، تحية الصبح النبيل القوج ، فرد له التحية صوت ندي كالطل : أسعد الله صباح جميل !

وقابلت التحية تحية والابتسامة ابتسامة . واجتهد الراعي في أن يطيل الوقوف إمساكاً على النشوة الطارئة ، وغالب ذهنه على كلمات توفر له مرجاه فقال : أياكون ابريقكم بارد الماء ؟ فأجاب الصوت الندي : الابريق مكانه على المصطبة ينضح بذوب الثلج !

ومشى الى المصطبة قد أهيف يتشقق ساقين بضنين تنأى فيهما جمال الصياغة . فقارت



نزوة الحب في راعي القطيع ودفعته الى المصطبة يسبق الى الابريق القدّ الأهيف المشوق السابقين . قال : خلي عنك ، أنا أعرف طريقي الى ابريق الماء !

على ان اليمين قبضنا معاً على فك الابريق . يد جميل ويدها . وحاولت صاحبة القدّ الأهيف المشوق السابقين ان تغلت الفك فلم تسعفها قواها ويد جميل تضغط يدها كالكلابة العصية . قالت وهي تجاهد في الافلات : أوجعتني . أأظل عابثاً ؟ .. متى تعرف الجدّ ؟

فأسعت عيناه ينكر ما ترميه به وقال بايمان العابد ذي التقى : ناهدة ! موافقي منك لا تستروح غير الجد الناصح . اني لأربأ بنفسي أن أكون في مودتك عابثاً وأنت عندي الكون . . . الحياة ! . فشددت في الخلاص من ضغط راحته القتيّة الاعصاب ، الخشنة ، وهي تقول : دعني والحق بقطيعك . قطيعك أولى مني بك !

ففاض صدره بالقول الصنيّ : القطيع وصاحب القطيع فذاك ! ورشح بالصدق قلبه ومقوله وناظره . وأدركت انه جاد لا هازل فعضت شفتيهما ان اسكت لئلا يسمعوك . أبوها وأمها وعمتها في المنزل . فقال بحفوة : لست أبالي أحداً . أنا أشتهي في حبك الفضيحة !

فأعلنت بصيحة تترجح بين الغضب والرضى ويغلب عليها الخفوت : اسكت ، اسكت ! — لن أسكت الا وقد سمعت منك المعاهدة على الولاء . أيستطيع جميل أن يعقد عليك غده ؟ وغرز عينيه في عينيها مستطلعاً ملحاً . فدمدمت بقوة تروم الانفجار وتحشاه : اسكت ، اسكت . أخاف أن يسمعوك ، أن يبصروك . دعني أفلت يدي !

فخبها بألم وحدة : سأرفع صوتي حتى لا يبقى في القرية من لا يسمع . وسأظل قابضاً على يدك حتى تراني كل عين . أتكونين لجميل ؟ . . . أجبي . أتريدني زوجاً لك ؟ . . . وعلا في المنزل وقع أقدام فاستعطفت ناهدة جيلاً أن أفلت يدي . فتلظت شفتاه بفحيح كاو : أجبي ! فهاهما ان يفتضح أمرها ورفت عيناها بالميثاق الغليظ . فاطمان جميل وأفرج عن راحتها . وأطلّ أبوها من الباب فأمال الراعي بالابريق على فمه يتصنع الظلم فضحك الاب وقال مازحاً : أعصاب أنت منذ طلوع الصباح بكل هذا العطش يا جميل ؟ .. هل تعشيت خروفاً ؟

فكفّ الراعي الفتى عن الشرب وقال باسم : ما حيلتي في ابريقكم وهو يغريني ابدأ بمائكم العذب ؟ والتفت الى خرفانه فاذا هي تتابع المرتقى . فقال وقد ثمل بفرحة عذراء : يجب أن ألحق بخرفاني ، فحفوا عني !

ووثب الى خرفانه السوارح في طريق القمة وقد ودع ناهدة بنظرة وأباها بومضة من نظرة . وما لبث ان تعالى نغم مزماره يلقي في اذن الصباح الوليد الشجو الناعي . والنساب القطيع



في القعة يقرض الكلاً الطري ويميل حيناً بعد حين على دوالي الكرمة يستمعيها وراعيه لاه عنه بهواه المجنح ومزماره الغريد

ونظر اليه فارس مقصود ، والد ناهدة ، في وثبته الى القطيع فقال : جميل الباغي فتى عامر القلب . فالدنيا لديه ضحكة وأغرودة وكأس روي !

وفارس في عهد شبابه انتفض فيه هذا المرح الخصب . على ان السنين فلتت من غليانه وان تكن أبقت على عزيمته . فلا يريح ذلك اللباني القح العابد ربه وجبله وحرثه ، الحريص على التقاليد . عاش أجداده وأبوه في هذا البيت الأعزل المعسوب الجبين بالعمامة البيضاء ، وهو يأبى إلا أن يعيش فيه مثلهم دون ان يفكر في بناء جدار . فما واث عن أبيه سيورته لمن يليه . فالوزنات الخمس تظل لديه خمس وزنات لا تنقص ولا تزيد

والعيش لم يكن يضيق بفارس مقصود . حقوله توفر له الكفاف . فالمال وان لم تزره يده لم ينضب لديه معينه . حبوبه من ارضه . وزيته من دوائر الزيتون في المرح الاخضر . والحلوى من كروم العنب والتين . وفي كل عام يشتري خروفاً ويعلفه ليذبحه في مطلع الحريف ذخيرة للشناء الجهوم . فالقرية حين يدهما الثلج تنكر للذباح وتنعم بالدهن المصفى في القوارير . ومع يقين فارس مقصود ان القناعة كنز لا يفنى تشهى ابو ناهدة امتلاك الثروة الدفاقة ليسلو لبعض الزمن حياته الرتيبة الوزن والقافية . وعرف الغيرة وهو يبصر بشئة من ابناء قريته تعود من المهجر وفي راحتها حفنات النضار . وفكر في الاقتداء بها ولكن بعد الاوان . فلم يبق في المصباح زيت يرجع على ما يلي منه بالنفاد

غير ان ما اصيب فيه فارس مقصود بالحرمان سيمنع عن ابنته اذاه . ابنته ناهدة خميرة البيت ومعقد الرجا . فهي وحيدته وقد بخل عليه الزمن بسواها من النفقات . وناهدة في نظيرة بنات القرية . وجه القماش . زهرة لم تحفل بمثلها الضمة ، وعطرة أطيب شذاً من كل هاتيك الرياحين

وفي سبيل ناهدة لم تنقطع الخرفان عن الالتفاف صباح مساء حول البيت الاعزل الجاثم في مفرق الربوة . ولم يرح جميل يسأل عن الابريق الغافي على المصطبة ، ويُسكر بشدو مزماره ، الخمور النعم ، الاشجار والتلال والادوية والقطيع

وكما عرج في المساء على ناهدة حباها بما طالت في جولة نهاره يده فيحمل اليها أقراط الحصرم السائل لها اللعاب تشهياً ، فعناقيد العنب المنظومة كالحصائد الغيد ، فالتين الملوّن النازي فيه بحبه قلبه ، فالزعرور الاحمر كالظفار المحضوبة ، وفكروز الصنوبر الاخضر ، العجير اللدان وبحث الراعي الفتى عن المال بعد ذهوله عنه . فتمتل يومه الاروع ، يوم يعقد له على ناهدة



مقصود ، وأعدَّ له العدة . فكان يبيع خرفانه بثمان ربيع ويشترى سواها . ويجز صوفها ويعرضه على الغزاليين وربات المنازل لحشو الوسائد والفرش ويتقاضى البذل ويحشده في جرة تبطن الأرض . فالجرة في القرية بيت المال وملجأ الدينار

وحدث الفتاة عن مناه . سيشتري منزلاً في القرية وينقطع عن رعي الغنم . فحسبه الاتجار بالخرفان واللحوم ، حتى إذا ما تزوج فلا تحجل به ناهدة في معرض الفخار وشعر بأن الحب على هناعته قيد صليب . إلا أنه راض به على قسوته . ولكن ثمة من لم يرض . ففي القرية من طاب له تعكير الصفاء . والناس كتلة من حسد وغيرة . فكانت وشوشات على خلوة تلتها مجاهرات ملء الاسماع . أين جميل من ناهدة وهو راعي غنم ؟ وانسابت هذه القواصم الى اذن فارس مقصود . وفارس متشامخ غضوب . فرقص شارباه وبرقت عيناه وصاح بنفرة : لا وأبيكم ، ليس لجميل عندنا لقمة !

وتسلق الى الصومعة والحق في صدره والجهامة في أساريه . وتناول الابريق الحالم على المصطبة وحطمه في عريضة نكراء . فأسرعت ناهدة تتبين أثر القضيضة . وما بصرت بأبيها حتى تولاهما جمود رابع . هل جنَّ أبوها ؟

وشاءت الكلام تروم استيضاحاً . فخنق أبوها في صدرها كل نقمة وقد علا صوته ناخعاً دفاق الزبد . فضحتني يا ملعونة الطلعة بمسايرتك جميل الباغي . ولكن أباك ليس ممن ينامون على الهضيمة . انت تعلمين مبلغ نقمتي . والله لأقطعن رقبتك اذا عدت الى مخاطبة جميل بكامة ، بإيماة ! وكشر عن نواجذه الكواخ . وهدد بقبضة يده . فوقف الدم في عروق ناهدة . أي انقلاب طراً على أبيها فأمال من جانب الى جانب الكفة الراجحة ؟

قال الأب وهو لا يبرح في فورة الغضب : جميل لا يليق بك . ان هو إلا راعي غنم . والقرية كلها تلومني في رضاي عن مساقطتك الاحاديث . فامنعي عني الانياب العضاضة وقاطعيه . أنت خلقت لمن هو أعلى قدراً !

فغزَّ عليها ان يموت حبها الطير دون ان يقوم من ينعاه . وأحست نفسها في معرض الدفاع عنه فقالت متجاوزة تهديد أبيها : ما بك تبدلت ؟ . . . كنت محبباً لجميل ، راغباً في مكاملته ! . فانفجر كالاطلاق : أنا ؟ . . . لأقصنَّ عمرك . ادخلي المنزل لقيت الخيبة . لا تقفي ثانية واحدة أمامي . فليس يخفى عليك ما يكون مني في زوة الغضب !

وغضبته تخيف . وعند نائلة منها الخبر الجلي . فلا تزال تذكر الفتاة كيف قبض ذات يوم على غدائر أمها ورمى بالمسكينة من السطح الى حقول التوت . ولو لم تقع على أكداش الشيخ لتخطمت أضالهما . ولكن حظهما شفع فيها فهوت على موطىء رفيق



وليست تنسى كيف حطم هذا الأب مرآتها وقد أطالت إليها الوقوف . فغاضه أن تهم  
ابنته بالجديد وتخرج على تقاليد السلف ، فأهوى بمدقة الجرن على المرأة ونثرها شظايا براقه  
وناهدة لا تملك المرأة حتى على البكاء

والآن وقد فارق أثره فانها لتخشى الاصطدام به لئلا ينالها منه ما يؤذيها فدخلت المنزل  
وهي ترتجف كورقة الخريف الساقطة الهمة حيال الريح . وشكت أمرها الى أمها . فاكثفت  
الأم بأن تنوح . هذا كل ما تستطيع !

قضت ناهدة ليلة موصولة النسيج . فأرمد عينها حكم أبيها عليها . ودبت الى النافذة  
تربح جيلاً يزفها اياه مبسم الصباح . وتلاّ لا الفتى في المنحدر يسوق قطيعه الى القمة وعيناه  
على الكوة المطلة منها ابنة فارس مقصود . وانبط البشر في قمماته . سيرى الفتاة . فتألمت  
ناهدة للنكبة المنقضة وساءلت نفسها : أتبدو لعينيها ؟

وأوجعها ان تقلقه وما درج الى مأثم . ولكن ألا يرصدها أبوها ؟ . . . وتنهدت  
جزعاً وهي تفكر في هذا الأب الغشوم ، محطم المني الابكار . وكان جميل قد اندفع الى المصطبة  
ينادي الفتاة . فكادت ناهدة تحجب . غير ان أباهما طفر الى الباب يشقه وجر جر بصوت نفور  
كصير الفشار : ماذا تريد ؟

فجرت النبرة الخفنة اذن جميل . ووثب فوراً الى ذهن الفتى ان الأب حانق برطام .  
وألمت به الظنة فنفضها عنه وقال ، ولكن برعشة من ارتباك : أريد شربة ماء !

خجبه فارس مقصود بسخرية ذات أنياب : الابريق المعهود أعطاك عمره . حياتك الباقية !  
خزّت في قلبه اللهجة الممضة وتعجب من هذا الملقى البغيض . فأى انقلاب طراً ؟ . . .  
وناءت كنفه بالخيبة فكاد ينصرف وليس في أعصابه قوة تسعفه في السؤال عن ابنة فارس  
مقصود . ولوى وجهه على استخذاء وتولته هنيهة من وجوم . إلا ان حبه القلق أكرهه  
على الاستيضاح : وأين ناهدة ؟

وأفلتت سؤاله شفتان كاسفتان يحشرج فيهما الأداء الجلي . فأجاب فارس مقصود بحدة  
النقمة : ناهده تنعم بغفوتها . ما شأنك فيها ؟ . . . حذار أن تزعجها بعد اليوم بنظرة !

ولضت لهجة فارس مقصود عنها كل رفق واحتراس . فارتاع جميل وأحس دواراً يرين  
عليه . وتراجع على مضض راجف . ولكن أين ناهدة ؟ . . . فلا يزال يرجو رؤيتها  
لاستطلاعها أمر النازلة الشامته العين ، الكاوية الضميم

وناهدة أمسكت على احتجابها الصفيق وليست تجرؤ على كشف الستر . فنفق ضمير  
جميل الباغي كأن به نهشاً من حمى . وحباً الراعي المسكوم المهجة الى الخرفان حزينا مساهماً



لا يكاد يلتفت الى قطيعه . فالوساوس اختبعت في ذهنه الامل البشوش . بيد ان الراعي لا يبرح على رجاء ، ولكنه رجاء غشته رقاقة من رماد خيم

وانقضى عليه نهاره وهو يسائل نفسه عما جرى . وورب المساء بحرقه الظمان ليدفع خرفانه في طريق الصومعة . بل هو استعجل الموعد . فما لاحت ناهدة لناظره . هناك فارس مقصود وحده يتحفز للنهش كالمصيبة المنقضة . فارتعد جميل وأحس قلبه يتعصر . وخشي أن تزل به قدمه لفرط الارتباك وأبى ان يلتفت الى فارس يحيه . ولكنها تقاليد القرية . فغمغم وصوته يحرق شفقيه المنتفخين حرداً : مساء الخير !

وهوى في المنحدر لا يرقب جواباً . فرد فارس مقصود التحية بزجاجة تنضج بالوعيد . وسمعها الراعي فانتفض غاضباً للكرامة . فالصدمة دائمية عمياء سلخت من أساور الراعي كل زهو ومرح . فغام على جبينه العبوس واستيقظت فيه القسوة . فهو ناظم حتى على نفسه . ينقض عفواً على خرفانه ويهيجها بالعصا من يد لا تلين . وساوره خجل من اخوانه . أينبذه فارس مقصود وتعف عنه ناهدة ؟ ... يا للغضاضة الصافعة في القرية الفضوح !

هذا الطريق الملامس الصومعة في نهده الى مفرق القمة مالت عنه خرفان جميل الباغي الأنوف . فشوق لها راعيها صعبداً لا يطل على بيت فارس مقصود وقد كرهه الراعي الفتى مرأى وجار الثعالب المقيت . بيد انه لا يكاد يبلغ القمة حتى يحتال على نفسه ويجلس القرصى وراء صخرة تشرف على مئوى ناهدة . وما ان تبدو ابنة فارس مقصود على المصطبة أو في حُكرة الثوت حتى يتأوه جميل وتندلع أشجانه . فالحب في صدره لا يبرح على وهج وسعير

وماجت القرية بالنبا . فارس مقصود أزاح جميلاً وأضحت ناهدة طليقة اليدين . من حق كل طالب ان يلتفت ملياً الى جلوة الطلالة فيها وان يتشهى ويتمنى . فقد لان باب الحراب العصي . وفي ساحة القرية أذاع فارس مقصود بنفسه النبا الصارخ . منزله أضحى على جميل الباغي الحرم المنيع . فليس للراعي أن يدوس منه بعد اليوم العتبة . فانتعشت والكلام يلقي ، آمال مكبوتة . وحامت على فارس مقصود ابتسامات لم يكن له بها مالف عهد . بيد ان فارس مقصود يريد لابنته سعادة وارفة في عيش جميل . وليس يضمن الطلبة سوى ذي مال ثري وفي القرية ابن خمسين لا يبرح أخضر الصباية على جفاف العود . هذا سعيد غائم ، الملقب بالاميركاني ، مضرب المثل في الغنى والوفر . أشاح عن خيرات المكسيك بعد ما ملأ منها وطابه ، ورجع يتقيأ في أعالي لبنان ظل السنديانة الشموخ . على ان جفنت النضار الثاوية في جرابه السمين لم تنزع من جسده طابع مشقات الحجرة الكاوية يديه وكتفيه وظهره والبارية قدميه ، ولم تهذب فيه خشونة الفطرة وجفاء السجبة . فأقبل كما أدبر . هذا هو بمنطقه



وشحبه وجهه . فكأنه لم يبرح القرية الى بلده نبيه

كان يرتدي الثوب الغليظ رقعة في رقعة ، ولا يزال يرتديه على رقاع في رقاع كالملق الزري . رحل وكوخه متصدع الجدران ، رث الاخشاب ، وعاد الى الكوخ نفسه يرقد تحت السقف الاسود الاديم ، النفثات التراب ، وينزوي في شبه حفرة أضحت أعشاشاً للعناكب والفئران

واكتفى من الرياش بسجادة حمراء نصل لونها وتطايّر زغبها ، وبصندوق ضخم حمله من أميركا وشحن فيه ثيابه وثروته : وما ثيابه ؟ ... رداء أسود اللون عرف الكي يوم خياطته مرة واحدة في العمر وقبعة دكناء مترامية الاطراف جرباء ، انتشرت فيها بقع الزيت كأنها من بقايا السلع الكاسدة . وحذاء يحتاج الى نظر حاد ليبدو انه كان لماعاً وما عرف منذ شرائه ماسح أخذية

وشاق سعيد غام الاقتران بناهدة وقد رسخ في ضميره ان هذه اللؤلؤة لهذا الخاتم . ومن يلويه عنها وهو يزن ثقلها ذهباً باهر اللع ، عذب الطنين ؟ ... كفة بكفة . وقد تكون قبضات الذهب أرجح مثقالاً . وربما كان فارس مقصود يفكر في ذلك الرث البردة الوارم الكيس ، وهو يعد ابتته لغيرها . فما جاءه سعيد يحدثه عنها حتى وهبها له طفايح اليمين ودعيت ناهدة الى ابداء الخضوع والانحناء . أمة في حضرة المولى ، قارورة بيعت لعطار . وابتسم سعيد غام ابتسامة التيه . « السنيوريتا » ناهدة باتت ملك يمينه . وكان يستطيب ان يخلع على ناهدة لقب « سنيوريتا » . فأين أضاع أيامه ؟ ... ألم يكن في بلاد المكسيك ؟

وجنح سعيد الى العجلة في عقد القران . ولماذا التأني والامر قد أبرم ؟ . ثم هو خاف بعد طول قعود عن الوجد والهوى ان تفوته منهما نهزة في تسميره لها فليسرع في نهش قرص الحلوى بملء طواحنه ، وليتمتع بالذاذة على مدة ذراعيه . بعد اسبوع سيتزوج . وهذه امواله . فلينجدر فارس مقصود الى بيروت وليأت منها بكل ما تطيب نفسه من مأكّل ومشرب واثاث . فالصندوق المقل بألف مفتاح ، السدود الثقوب الحائمة عليه الحشاشة تحجبها حتى عن أهداب النور ، متفتح ابوابه لفارس مقصود رحبة طليقة ، فليكشط عنها الغفن وليعرف ما يشاء

وانحدرا معاً الى بيروت وقد ضربا موعداً للزواج . لا يعود الاميركاني من جولة الاستبضاع حتى تزف ناهدة اليه وليتخطم قلبها . ولتمت آمالها . صندوق سعيد غام خير ضمان لهناقتها ودفعها . فلترقد بجانبه وهو المشتعل القاب بالنضار الوهاج . غير ان ناهدة كانت



رى في هذا الوهج برودة دونها الزمهرير وودت القرار من بليتها. والى اين القرار وفأس فارس مقصود ونقمته بالمرصاد ؟

ووقع النبأ في مسمع جميل الباغي فكاد يحن . وثار فيه حبه الموتور فاستجار بخنجره . لن يتزوج الاميركاني ناهدة ولن تشهد القرية عرساً بل مأتماً تنساقط فيه جثث اربع . فيقتل جميل ناهدة وأباها وسعيداً ثم يقتل نفسه . وحقده على فارس مقصود أشد منه على الجميع . فاعترم ان يخنق بيديه فارماً ويستل لسانه الخبيث ويفقأ عينيه اللاسعتين

الا ان الثورة الجاحمة عقبها فتور رشيد . لماذا الجنون ؟ ... أيخضب القرية بالدم لاجل فتاة لا ترضيه ؟ ... وجمع بعضه على بعض وارتأى براح منبته بكبده النخرة ومناه المغلولة . بلاد الله واسعة ولا بد أن يجد فيها حفرة يودعها هواه الطليل . وتحامى ان يودع اخوانه . فالخنجل يكسفه ، والشماتة تروعه وليس يقوى ان يجابه منها سخيرة العيون  
أجل ، سيرحل . سينأى الى حيث ينسى . وداعاً أيتها القرية الملائى بالذكريات النضرة . ناهدة ليست عقدة الامل ومبعث الحياة فلن يطيش حتى يسفك الدم لاجل فتاة كل عزها انها على سقطة من جهارة وزرة من سناء !

الخبز في التنور تلة على تلة . ودق الكبة كالزغريد كلاها يتوالى . ورقص الدبكة حلقات تلو حلقات . ومزامير القصب تطلع بشجي أنغامها فيثور لحنتها القلب الخلي . والعرق يملأ الكؤوس . وشرب الانخاب كسيل جفاف : حباً ! - صحتين !  
وناهدة على دكة عرسها مثلها على مرتبة نعشها . ورقة خريف صفراء في متناوح الريح . تفكر في ساعة زفافها برعب يطغى على وجهها فيخزيه

وشكت جوارحها الظلم . انها لضحية الابد . وانتفض في ضميرها سعي جميل لانقاذها . تراءى لها انه سيشرق اليها الجموع وينتشلها من أنياب الذئب . ولكن جميلاً ناقم حاقد . أيدري انها مغلوبة على أمرها وانها ليست ذات رأي في الانفصال عنه ؟ ... الانفصال عنه ؟ ... الموت أسبق منه الى خاطرها !

ودار بها غشيان اليأس فهي في ذهول عن نفسها . وقد تكون تملك فضلة من معاندة ، نفاضة من ثورة ، الا أن فأس أبيها ترهبها . وهي مع خشيتها الفأس تحاذر أن تستفز أباها الى ما يفضحه في الناس

والعرس في القرية هو العرس . ففي الفرح نشوة للجميع . وعلى مقعد تجلله الطنافس حملت ناهدة الى بيت سعيد غائم البعيد عن القرية بعد الصومعة عنها . فالصومعة في التلة وبيت الاميركاني في السفح . فكان العرس الزاحف جمع الشتيتين !



وصبت قاقم ماء الزهر وماء الورد كرائمها على العروس الغارقة في رزيتها . وأدهش ناهدة أن تنكب بقلبها وتظل من الحياة على رمق . فاشتت الموت وأقامت منه على أهبة . فلن تعيش في كنف من اصطفاها لها أبوها وما خلقت لتعيش فيه . وأطاعت في كل ما دعيت اليه . ودخلت بيت سعيد غام وهي في سهوة حجبت عنها كل ما يمثل حولها ووقف سعيد بباب المربع يرحب بالأمنية الطالعة . والمربع لديه أشبه بقاعة العمود في قصر الأمير بشير . وله بجانب المربع مسكن آخر هو القبو . ولكنه على مسافة مرموقة . وفي القبو الطبخ والنفخ والخدمة . وإن يكن المربع الاسود القديم ، الرث الاخشاب ، لا يليق بعرس مشرق الصفحة ، فالقبو يكاد يكون في حقارته زريبة للخنازير وانصرفت القرية عن العرس في مغرورق العتمة . وخلا المربع لسعيد وناهدة ، للعروسين . دبّ حيال مهابة . وأقامت حفنة من النساء في القبو حول والدة ناهدة عاكفات على طعام البكارة يهدنه بغبطة وعناية . ودنا سعيد من عروسه مثله من متعة اكترها . هذا أوان اللذوى . وامتدت يد الاميركاني الى معصم ابنة فارس مقصود ، فاستيقظت ناهدة من نيتها كأن حشرة لسبتها ونفضت عنها اللمسة وهي تقول برهبة ! دعني ، لا تمهد إليّ يداً ! فابتسم ابتسامة تم على ازدراء وقال : خفي عنك . لماذا المانعة ؟ ... أصبحت لي . والعناد بات لا يجدي ! وشاء أن يضمها اليه . فأفلتت منه وهي تصيح به : مكانك . أسأت الاختيار في اقترانك بي . أشقيت وشقيت !

فتعجب من منطقها الجافي ، ووثب عليها يمسك بغدائر شعرها ويجذبها الى صدره بغنف وهو يقول : أتماحكين ؟ ... ولكنني اشتريتكم بمالي . اذا أبيت الطاعة على رضى امتثلت على كره . لا يغرنك مني المشيب ، فلا أبرح بقوة الشباب . تعالي ! وجرّها الى السرير وقد اندلع من عينيه أشر السلطان . فها لها موقفه وتولاها ذعر جائع . واجتهدت في الافلات منه واقصائه عنها . فرفعها بين يديه بقسوة وضربها السرير قائلاً بجنق : عنادك يكفك حياتك أطيعي وإلا جعلت من عرسك مأتمك . أول الطريق ولا كلة . أسمعين ؟

فهفت يدها الى صدرها . وتناولت منه مندليها وقد عقدت طرفه على مسحوق أغبر . وحلت العقدة في ما دون اللحظة ونفضت في فمها المسحوق بخفة وابتلعته في غصة نائمة والاميركاني واقف حياها عابساً حائراً في ما تصنع . فصاحت به وقد ومض الظفر في عينيها : لن تنال مني منالاً . لست أريدك . هذا منقذي منك أعدته ليوم خلاصي ! وتعاليت نبرتها . فأدرك انها تناولت سماً . وانقض عليها يمسك بخناقها ويكرهها على



القيء . فليس يريد لها الموت بعد طول علالة . وإذا الشباك السقيم ، النابي به وساده ، المثل على دوارة التوت ، يتطاير كأن عاصفة تقتلعه . فالتفت سعيد غام وناهدة بأعين جاحظة . وملكهما الرعب وقد أبصرا جملاً يثب عليهما شاهراً خنجره . غير أن نائلة لم تلبث أن استطابت المفاجأة وبها يلتصع خلاصها . فلم يرمقها جميل الباغي بنظرة . كان سعيداً هدفه الأوحده . فطفر إليه يصيح بحقد ذميم ، نائي العين : يدك عنها أيها العليج !

ففتح سعيد فمه رعباً وتراخت يده عن عنق ناهدة . ووقف مشدوهاً كالمصاب بالشلل وقد عُدِمَ النطق والحركة . وعبث به خنجر جميل الباغي فشك في قلبه لا يفسح له في شهقة . فهوى في الأرض وفمه على فتحة الذعر ووجهه على كمدة الخيبة

ولم يحفل جميل بالجثة الهامدة ، ولا كلف نفسه انتزاع الخنجر من مثواه ، بل مال على ناهدة يقول بحماسة المنتصر وعجلة المتقي : انهضي . انقذتك منه وأنقذت نفسي . جئت لاقتلكما معاً قبل هجرتي ، إلا أني أيقنت ، وقد سمعت من وراء النافذة بعض حديثكما ، ولاح لي موقفك منك ، أنك مغلوقة فيه على أمرك . انهضي ولنرحل معاً . غداً نركب البحر إلى العالم الجديد !

والى أين ترحل وقد تناولت طعام الفأر سماً تخلع به عنها عبء الحياة ؟ ... فالموت على أنملة منها . وباتت لا ترجو وهي على يقين من منيتها إلا أن تنقذ من تهوى من شر العقاب . وشاقها التضحية فالتغصت فيها . وتكلفت النعمة تجبه بها جميلاً وتكرهه على الفرار . فصاحت به وكل ما فيها على رجفان : أقتل زوجي وتريدني على اللحاق بك ؟ ... ارحل ، لا تقف لحظة واحدة على مرأى مني والآن ملأت القرية صرخاً للقبض عليك ! ومشت إلى الباب تتظاهر برغبتها في فتحه وطرح الصوت . فارتاع جميل أمام ما يلوح له منها وأعول : ماذا تفعلين ؟

— ماذا أفعل ؟ ... أتلطخ يديك بدم زوجي وتفرض عليّ السكوت عنك ؟  
فماله تناقضها . كانت تكره سعيداً كتلة من حياة فاذا بها تغار عليه جنة بلا روح . وارتعش جميل الباغي تجاه عزمها على الاثثار لزوجها المضرع بدمه . وتراجع خائفاً مضطرباً والجنة المبسوطة أمامه على مداها تزيد في رعبه . فأشارت ناهدة إلى النافذة المحطمة وهي لا تبرح في صياح ناغم : ارحم نفسك واركن إلى الفرار . إلى الفرار والآن دعوت القرية إلى ذبحك ! فامثل كالعبد المهين . وتوارى ذليلاً كالجبان لا يجرؤ حتى على الالتفات إلى الوراء وقد انتزعت منه ناهدة بانقلابها عليه صلابته وهدمت بأسه . وتبطن الليل وأشباح أبناء القرية زف في عينيه ، وتهديد ناهدة ينتفض في عروقه . وكلما تقدم خيل إليه أن وقع الاقدام



يقترّب منه ، وإنّ الجميع جادون في أثره . وتمثل الحديد بعض ساعديه ، والسجن يغلّق عليه أبوابه ، والشماتة والسخط يهويان عليه دراكاً . فدهمه الروح ، وحث على النجاة خطاه المرتجفة . وتولته كسفة الندم . فهو قاتل مجرم . ولكنه وقد سفك الدم لماذا قتل سعيداً ولم يقتل فارس مقصود ؟ . . . فارس هو الاثيم . لينه أودى به !

ووقفت ناهدة الى النافذة تنظر اليه في فراره وأبهجها انقاذه من هول ما يرقبه فالجرّيمة ليست في دمه وقد حمل عليها . هو اه المغول أهاب به الى الانتقام من سحقوا له وآثرت ابنة فارس مقصود وقوع خنجره في صدرها على اجتياحه قلب سعيد غام . فما ذنب سعيد ؟ . . . وتماسكت على فتحة السم مجالدة على الألم الناهش لا تبديج لقمها أنه . فتلولي والسم يزق أحشاءها كأنه بأجمعه أنياب قاضمة . وما أذنت في صيحاتها البواكي الا وقد تلاشى هناك ، في غابة البلوط وقع خطوات جميل في مسممها . فأيقنت أنه بات بآمن من عبث النائبات وأعادت بجهد يتفقت منها خشب النافذة الى ومواده اخفاء لآثر الملمة ، وهزت الليل في رقديه الهائلة تبثه بليغ شجاءها

وأعولت في الصراخ المصيبة . وترا كضت النساء المعتكفات في القبو على الطعام هالعات وقد تعالى منهن الصياح والاستيضاخ . فدت ناهدة الى الباب تفتحه وليست تملك القوة على الاداء . واكتفت بأن تشير الى الجنة وانطرحت في الأرض تحتلج وتتقصف كالحية على النار ولاحت الجنة للنسوة وقد غارت في كبدها نصلة الخنجر ، فناد بهن الذعر ولطمن بولولتهن وجه القرية الهاجدة . وبين مزدحم المناكب وحومة العيون الجاحظة استطاعت ناهدة ان تغالب لسانها على القول : سعيد غام أكرهني على ما لا تشتهي نفسي . وهددني بخنجره يروم القضاء علي . فانترعت من يده الخنجر وأغمدته في قلبه . وتناولت السم أبغني به الخلاص من حياة قنوط !

ورشقت عينها والدها فارس مقصود بنبعة الفاجعة . واستلمها الموت بعد طول تعذيب لا يبالي فيها العقاقير . فوجت القرية حيال ما ترى وما تسمع متكررة لما ترى وما تسمع . وساورها جزع قلق يطغى عليه الشك فلا يستقر على يقين خمسة عشر عاماً تغفو في خاطر الزمن . واذا القرية تستيقظ على نواح شيخ في مقابرها .

شيخ وليس بشيخ . فالأيام نسجت له من شعره الكفن ، الا ان أعصابه دحضت فيه مزاعم أيامه . هذا جميل الباغي بقده وحده . تماوجت في أذنيه ، وهو في العالم الجديد ، تضحية ناهدة لأجله ، فأقبل تحت عبء أرزائه يبدو الريبة عن الاخلاص المصفى ، ويجلو الغمامة عن السر المكشون !



# الطوطمية

او تقديس الاشياء

لرشوان احمد صادق

كثيراً ما نسمع أو نقرأ عن تقديس بعض الحيوانات أو النباتات في المجتمعات البائدة وكثيراً ما تكشف لنا الحوادث والايام بعض تلك الظواهر كامنة في مجتمعاتنا المتحضرة واضحة بين الشعوب التي لا تزال تعيش على الفطرة . ولقد قرأت في عدد جريدة المصري الغراء الصادر في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٤١ نبأ فتاة دون العاشرة تضع طفلاً . وفسر ذووها هذا الحادث الغريب في بابيه بأن حية نظرت الى هذه الفتاة بغدر فتم هذا الحمل . ذلك الاعتقاد ما فتى سائداً بين الهنود الحمر سكان أميركا القدماء الذين لا يزالون ممثلين الى وقتنا هذا في أرجاء قارة أميركا وهم محافظون على معظم عقائدهم القديمة رغم أخذهم بأساليب المدنية الحديثة واليههم تنسب تلك الفتاة

ذلك الاعتقاد ليس في الحقيقة إلا بقايا نظام اجتماعي قديم ولم يقتصر انتشاره على هنود أميركا الحمر بل كان يعم معظم بقاع العالم القديم قبل معرفة قارة أميركا ولا تزال بقاياه ممثلة في المجتمعات الحديثة . تلك البقايا تتمثل في المعتقدات المستترة التي تحتاج الى البحث والتنقيب لكشف القناع عنها . ويعرف ذلك النظام الاجتماعي القديم في الاوساط العلمية باسم « الطوطمية »

وكلمة « طوطم » هذه من كلمات هنود أميركا وتهجيتها الحقيقية غير معروفة لنا تماماً . وقد ظهرت هذه الكلمة أولاً في كتابه المستر لنج J. Long وهو مترجم هندي كتبها طوطام <sup>(١)</sup> Totam أما فرنسيس وهو هندي من سكان مدينة يوتاه الأميركية فقد كتبها « اودودام » <sup>(٢)</sup> Ododam وأخيراً اصطلح العلماء الانكليز على كتابتها « طوطم » Totem وهذه الكلمة تدل على شيء يختص بالاسرة أو القبيلة <sup>(٣)</sup>

(١) Voyages and Travels of an Indian Interpreter P. 86 London 1791

(٢) See "Academy" 27 th Sep. 1884, P 203. (٣) J. A. Cuoq's Lexique de la langue algonquine (Montreal 1886) P. 312.



والطوطم فئة من الاشياء المادية التي ينظر اليها الانسان غير المتمدين باحترام اساسه لاعتقاد في الخرافات والخزعبلات . فهو يؤمن بوجود علاقة خاصة بينه وبين كل مفرد من وحدات فصيلة هذا الطوطم . فعلاقة الانسان بطوطمه علاقة مؤسسة على العطف المتبادل . يعنى ان الطوطم يحمي الانسان وفي نفس الوقت يحترم الانسان طوطمه بطرق شتى . فمثلاً يحرم على نفسه قتل هذا الطوطم ان كان حيواناً ويحجم عن قطعه او حصده ان كان نباتاً . من ذلك نكتين ان الطوطم ليس سحراً أو طلسماً بل هو فصيلة او فئة من اشياء مجتمعة من حيوان أو نبات وقلما يكون الطوطم جامداً كما انه يندر جداً أن تتخذ الظواهر الطبيعية طوطم

ويمكن أن نورد هنا ثلاثة أنواع من الطوطم خاصة بالذكر وهي :

- ١ — طوطم القبيلة وهو عام لجميع أفرادها ويستمر الاعتراف به جيلاً بعد جيل طريق الوراثة الاجتماعية
- ٢ — الطوطم الجنسي وهو عام لجميع ذكور القبيلة دون نساءها أو لجميع نساءها ون ذكورها

٣ — الطوطم الشخصي ، ويختص بالفرد دون نسله وسلالته

هذه هي أهم أنواع الطوطم ومع ذلك هناك أنواع أخرى نادرة قليلة منه

وطوطم القبيلة تبجله مجموعة من الرجال والنساء الذين يطلقون على أنفسهم اسم الطوطم يعتقدون أنهم وهذا الطوطم من دم واحد ومن سلالة جد واحد . كما ان كلا منهم يرتبط بالآخر بالتزامات عامة وكذلك بالاعتقاد في هذا الطوطم . ومن ذلك يتبين ان الطوطمية نظام ديني اجتماعي . أما الناحية الدينية فتتمثل في العلاقات المؤسسة على الاحترام المتبادل بين طوطم وكل فرد من أفراد القبيلة ، وكذلك تتضح في حماية الطوطم لأفراد قبيلته ودفاع ولئك الافراد عن طوطم القبيلة . أما الناحية الاجتماعية فتتجلى في علاقة كل فرد من أفراد قبيلة بالآخر من ناحية وعلاقة أفراد هذه القبيلة بأهل القبائل الاخرى من ناحية أخرى ولكي نوضح الطوطمية من الناحية الدينية سنضرب بعض الامثلة من قبائل الهنود الحمر ميركا وغيرهم من قبائل العالم وهي توضح لنا تماماً علاقة القبيلة بطوطمها فمثلاً قبيلة « الاركواي »<sup>(١)</sup> التي كانت تتخذ السلحفاة طوطماً لها تتلخص قصتها في أن ذه السلحفاة كانت عظيمة الحجم وكان الصدف الذي يغطيها ثقيلاً عليها فألقته جانباً وتحولت



خفاة الى انسان . كما ان هناك بعض العشائر من هذه القبيلة كانت تتخذ الدب طوطماً لها في حين كانت عشائر أخرى تتخذ الذئب طوطماً لها

أما قبائل «الشكتاو»<sup>(١)</sup> فكانت تتخذ نوعاً من السمك طوطماً لها ويعتقدون ان أجدادهم كانوا حيوانات بحرية تعيش تحت سطح الارض ثم انبعثت خفاة من الطمي الى سطح الارض ويعتقد جماعة الاجبواي<sup>(٢)</sup> انهم من سلالة كلب كما ان فرعاً منهم وهم عشيرة الكرمين كانوا يعتقدون انهم ابناء زوج من طير الكركي حطاً بعد جولة طويلة على شلال عند مخرج بحير سوپيريور (أي البحيرة العليا باميركا الشمالية) وهناك تحولوا بواسطة الروح العليا الى رجل وامرأة اما قبيلة «الكنتف الاسود» أو قبيلة الجاموس وهي فرع من قبيلة «الاوماها»<sup>(٣)</sup> فكانت تعتقد انهم في الاصل جاموس وكانوا يسكنون تحت سطح الماء

اما قبيلة «الاساج»<sup>(٤)</sup> فكانوا يعتقدون انهم وجدوا نتيجة اختلاط قوقع بكبة بحر اختلاطاً جنسياً . اما القوقع فقد حطم اصدافه واطهر ذراعيه وقدميه وساقيه وأصبح رجلاً حسر النظر طويل القامة ثم بعد ذلك تزوج من كبة بحر . وكان الهنود الجر في كلفورنيا يعتقدون انهم من سلالة ذئب وانهم كانوا يمشون على اربع في اول امرهم ثم بعد ذلك اصبح لهم أعضاء جسم الانسان مثل اصبع يد واحدة واصبع قدم واحدة وعين ثم بعد ذلك اصبح لهم زوج من كل من الاعضاء التي ذكرناها واستمروا كذلك يستكملون اعضاءهم حتى اصبحوا بشراً كاملاً وكانوا يبيكون ضياع ذيوهم ويعتقدون ان ذلك نجم عن جلوسهم مستقيمين في وضع رأسهم ويعتقد جماعة «الليناب»<sup>(٥)</sup> وهم فرع من قبائل «الدلاور» انهم من سلالة الذئب والسلفحفا والديك الرومي ولكن الفضل للقبيلة التي تتخذ السلفحفا طوطماً لها وذلك لان هذه القبيلة ليست من سلالة سلفحفا عادية ولكنها من سلالة السلفحفا العظيمة الاصلية التي تحمل العالم على ظهرها وهي التي كانت أول مخلوق حي على ظهر البسيطة

وكانت تعتقد قبيلة «الهيدا»<sup>(٦)</sup> وأبناؤها هم سكان جزر الملكة شارلوت ان غرا نوحياً ذهب منذ زمن بعيد الى الساحل وتزوج من قوقعة وضعت له انثى اتخذها الغراد زوجة له ومن هذا الارتباط نشأ الهنود اما قبائل «الارواك»<sup>(٧)</sup> سكان غيانا فكان السائد بينهم ان لنشأتهم علاقة ببعض الطيور والحيوان والنبات . كما ان بعض قبائل بيرو من سكان اميركا الجنوبية وهم من الهنود الجر القدماء

History of the Ojebways Indians, London (٢) Shactaws (١)  
 enape (٥) Osages (٤) Black shoulder, — Omahas (٣) 1861. P. 136  
 Al-Arawaks (٧) Haidas (٦) Delawar



ليسوا من جنس الانكا اصحاب المدينة المشهورة والحضارة العظيمة . كان هؤلاء الاراواك يعتقدون ان اصلهم يرجع الى العقاب وبعضهم يرجع الى الرخمة كما ان بعض قبائل اواسط امتراليا كانوا يظنون انهم نشأوا من البط والجمع وغيرها من الطيور المائية . وقبائل « الجوجال »<sup>(١)</sup> في جنوب ويلز الجديدة كانوا يؤكدون ان كل انسان مماثل لطوطمه بطريقة غير مباشرة . كذلك جماعة « السانتال »<sup>(٢)</sup> في بلاد البنغال كانوا يتخذون الاوزة البرية المتوحشة طوطماً لهم ويعتقدون ان نشأتهم كانت ترجع الى بيضة هذه الاوزة وفي منغامبيا كانت تعتقد كل عائلة أو عشيرة انها من سلالة حيوان مثل فرس البحر أو التساح او العقرب وغيرها فتنسب كل عشيرة الى طوطمها وكان يظن سكان بعض جزائر جنوب المحيط الباسفيكي مثل جزائر فونا فوتي واليس انه كان القنفذ يسكنها ثم تحولت القنافذ الى سلالة رجال ونساء كما ان قبائل « الكالانج »<sup>(٣)</sup> الذين يقال انهم سكان جزيرة جاوا الاصيليون كانوا يعتقدون انهم من سلالة اميرة ورئيس مسخط وتحول الى كلب . كذلك بعض سكان جزائر امين ويليام وكيزر ووتار وارخبيل الارو والبابار كانوا يعتقدون انهم من سلالة اشجار وخنازير وعايين مائية وتماسيح وكلاب بحر وحيات وكلاب وسلاحف وغير ذلك

\*\*\*

وننتقل الآن الى نوع آخر من الطوطمية يرتكز على اساطير خرافية مؤداها ان امرأة من الجذات ولدت حيواناً من النوع الذي تتخذه القبيلة طوطماً لها، مثال ذلك قبيلة « موكي »<sup>(٤)</sup> وهم هنود حمر من ارزونا كانوا يعتقدون انهم من سلالة امرأة ولدت الثعابين . كذلك جماعة « الباكالاي »<sup>(٥)</sup> في افريقية الاستوائية الغربية كانوا يؤمنون بأن نساء ولدن الحيوانات التي يتخذونها طوطماً لهم مثل العجل والتساح وفرس البحر والقرد والبوا والخنزير البري . وفي ساموا كانوا يعتقدون ان طفلاً تحول عند ولادته الى عدد من حيوان بحري يشبه الجنبري وكثير من تلك الاساطير المختلفة لا تبين تاريخ مبدأ ظهور الطوطم فثلاً عشيرة من قبائل « الاوماها »<sup>(٦)</sup> تقول ان اول رجل من رجال القبيلة ظهر من الماء وفي يده سنبلة من الذرة الحمراء التي تتسمى هذه العشيرة باسمها

ويرجع تحريم قبيلة الاوماها اكل لسان الجاموسة ورأسها ، الى سبب ديني فخواه انه بينما كان احد رؤسائهم يؤدي الطقوس الدينية للشمس فاذا به يبصر فجأة شبح جاموسة ينبعث من خلال الماء . وفي غرب امتراليا قبلتان تعترفان بأنهما سميتا باسم حيوان بحري وهو

(١) Jeawa—gal (٢) Santals (٣) Kalang (٤) Maquis (٥) Bakalai (٦) Onahas



غذاء أساسي لها . كما ان بعض العشائر في جزائر ليتي وموا ولا كرت تحتزم كلب البحر ولا تأكله ويرجعون السبب في ذلك الى ان أحد كلاب البحر ساعد مرة أحد اجدادهم عندما كان ينجز مهمة ما في البحر ومن ثم نشأ هذا الاحترام . أما جماعة «الاينو»<sup>(١)</sup> في بلاد اليابان فكانوا يعتقدون ان جدّهم الاول وضع من دب ويعزون غزارة شعرهم الى هذا السبب . وفي جنوب استراليا تحرم قبيلة «منت جي»<sup>(٢)</sup> أكل لحم طوطم القبيلة الا اذا اضطرهم الجوع الى ارتكاب هذا الوزر العظيم وعند ذلك يبدون أسفهم الشديد الذي يعبرون عنه بذكر كلمة ونجنج (Wingong) ومعناها أصدقاء وكلة تومانانج (Tumanang) ومعناها لحومها وعند النطق بالكلمة الاخيرة يلمسون صدورهم ليعبروا عن العلاقة المتينة بينهم وبين الطوطم الذي يعدونه جزءاً منهم . ومن القبائل الاسترالية من كانت تحرم على الصبية أكل لحوم طوطمهم لأنها تعدّ في منزلة الأخ لهم كما ان بعضها يحرم قتل الطوطم وهو نائم ولا يكون هذا القتل الا عند ضرورة قصوى ومع ذلك يعطى الطوطم فرصة للفرار لأنهم يعدّون الطوطم فرداً منهم وفي قتله جريمة لا تغتفر لذا وجب تجنب هذا القتل ما أمكن . وفي كولمبيا البريطانية يحرم الهنود قتل الطوطم واذا فرض ورأى أحدهم شخصاً يقتل طوطماً فانه يغطي وجهه من العار وبعد ذلك يطالب بالتعويض واذا رسم أحد هؤلاء الهنود صورة للطوطم على جبهته فان جميع أفراد القبيلة التي تنتمي لهذا الطوطم تقدم لهذا الشخص فروض الاحترام وذلك باللقاء الامتعة أمامه . وكان بعض الهنود الحجر في بنسلفانيا يتخذون الحية ذات الجرس طوطماً لهم ويحرمون قتلها لاعتقادهم انها جد لهم وان هذا الجرس يستعمل في تحذيرهم من الخطر الذي قد يداهمهم كما كانوا يحرمون على أنفسهم أكل لحم الخنزير والأرانب لما بينهم وبينها من صلة . أما قبائل «الدامارا»<sup>(٣)</sup> في جنوب افريقية فانها تنقسم الى عدة عشائر تسمى اندا<sup>(٤)</sup> ولكل منها طوطم خاص ومن هذه الطواطم نذكر الثور الارقط وهو مزقّط برقط بيضٍ سود او حمر، والغنم التي لا قرون لها وبعضها يقدس الجرعة التي يتناولها الثور وقد بلغ احترام بعض هذه العشائر لهذه الطواطم ان حرموا على أنفسهم لمس الاواني التي تطهى فيها لحوم هذه الحيوانات . ويتحاشون حتى الدخان الذي يتصاعد من النيران التي تستخدم في طهي هذه اللحوم . كذلك الحال في زنوج سنغامبيا<sup>(٥)</sup> وبين جماعة «المندا او المنداري»<sup>(٥)</sup> وجماعة الارايون<sup>(٥)</sup> في البنغال ويحرم عليهم الزواج من قبيلتهم ، كل هؤلاء لا يأكلون لحوم طواطمهم

« يتبع »

Damaras—Eandas (٣) Mount gembier. (٢) Ainos (١)

Revue d'Ethnographie Vol III. Page. 396 (٤)

Mundas, Mundaris. Oraons (٥)



# نباتات الصناعة في مصر

قديمًا وحديثًا

لمحمود مصطفى الديماطي

## ٢ - القَنْب<sup>(١)</sup> والبامية القَنْبِيَّة ( التيل ) والقطن

التَّصَحُّح من مقالِي السابق أَن المِصرِيِّين القدماء زرعوا البَكْتَّان واستعملوه في ثيابهم وَأَكْفَان مَوْتَاهُمْ . فهل أَثَبَّت التاريخ زراعتهم واستعمالاتهم لنباتات ليفية أُخرى ؟ والجواب عن ذلك أَنهم لم يعرفوا القَنْب منافس البَكْتَّان في البلدان المعتدلة كنبات ليفيٍّ وَلَا كَمُخَدَّر بالرغم عَمَّا قِيلَ في هذا الصدد

القنب كحشيشة الدينار ثنائي المسكن في الاصطلاح أَي مذكر الزهرات في نبات ومؤنثها في نبات آخر . موطنه وسط آسيا وبالأخص الهند وإيران . تكثرت زراعته في المناطق المعتدلة والاستوائية يزرع في الأولى لآليافه فيبذر منه بذر كثير متقارب لتنمو النباتات متكاثفة مستقيمة السوق بلا أغصان . ويزرع في الثانية للحصول على ما فيه من الدواء وتستعمل الألياف التي يحصل عليها كما في البكتان من القلف الداخلي للساق — بعد النقع والتجفيف ونزعها من السوق وتمشيظها — في قتل الحبال ونسج الزناير وما شاكلها . أما البذور الزيتية<sup>(٢)</sup> فيعتصر منها زيت القنب أو تستعمل غذاء لطيور الأقفاص أو يصنع من كسبها أقراص تعلق بها الماشية . وأجود أنواع القنب من حيث أليافه تزرع في جنوب أوربا

(١) ويقال له الأبقى قيل هو فارسي قد جرى في كلام العرب وقال بعضهم إنه عربي صحيح اسمه النباتي *Cannabis sativa* L. وبالاكتيكة *hemp* وبالفرنسية *chanvre* وعند عرب السودان الحشيش والكمج وبالهندية الجانجا والبهانج أو البهنج وبالفارسية البنج . ومن أساميها في كتاب مخزن الأدوية المطبوع في الهند : ورق الخيال وحشيشة الفقراء والمنشط وحبة المساكين والمرعد ومحرك الشهوة والمؤنس عند الهموم

(٢) ويقال لها الشهانج أو الشهانق معرب شهبانه بالفارسية



وخاصة إيطاليا وفي شرق الولايات المتحدة وفي بلدان آخر . أما الانواع التي تزرع من حيث ما فيها من الدواء فتجود في بعض بلاد آسيا وبالاخص الهند فينضج منها راتينج مخدر يستعمل دواءً ومنشطاً . وله ثلاثة أشكال معروفة في اللغة الهندية السنسكريتية هي الجانجها والجرس والبهانج : — الاول هو الراتينج ممزوجاً بأطراف الزهرات الانثوية إبان نضجها . والثاني هو الراتينج نقياً بعد نضوجه وانزاعه من الاغصان والقلف وغيرها ويحصل عليه من الاقاليم الاكثر برودة . والثالث ويكثر الحصول عليه من القنب البري هو الاوراق الناضجة وما رسب عليها من راتينج

والآسيويون شديداً الولع باستعمال ما في القنب من الدواء مخدراً بتدخينه منفرداً أو مع التبغ<sup>(١)</sup> أو بسحق أوراق النبات المجففة مع الماء فيتكوّن شراب مسكر يسمونه الحشيش

والراتينج له تأثير مخدر تصحبه اللذة اذا أخذ بمقدار قليل أما اذا زاد عن ذلك حدث منه هذيان يعقبه صرع . وجاء في كتاب طبي هندي أن القنب مفرح منقّ للون البشرة مسكر مخدر ملطف للفكر والخيال معطش مشه للطعام وانه مكدر لصفاء المخ مقلل لنور البصر وسعوط ورقه منقّ للدماغ

ولابدّ لببيع الجانجها والجرس في الهند من ترخيص يتبع نظاماً شديداً . أما البهانج الذي يجنى من القنب البري فتتخذ مراقبته . لكن في مصر والسودان قد حظرت الحكومة زراعة القنب والاتجار بالحشيش منذ سنين عدّة وذلك محافظة على صحة الجمهور

هذا وقد قيل ان القنب اذا زرع في حافات الحقول وفي نباتاتها من فئك الحشرات أما البامية القنبية ( التيل )<sup>(٢)</sup> والقطن وكلاهما من الفصيلة الخبازية ويزرع بمصر في وقتنا الحاضر ، وقد أثبت التاريخ وجودهما عند المصريين القدماء ولكن لم يتحقق استعمالهم للياف النبات الاول وهو عشب سنوي طويل يغشاه وبر وله زهر اصفر بهيج بني الوسط ينبت في آسيا الاستوائية وافريقية وامستاليا ويزرع في مصر حول حقول القطن وقصب السكر ومن

(١) وقد ذكر القنب ضمن النباتات الواردة في كتاب رحلة سبيك وغرانت لارتياذ مناع النيل قال الاخير ما ملخصه ان هذا النبات ينبت في جنوب خط الاستواء على كل تل من الروث وتحت أوراقه للتدخين في آخر ابريل ويبلغ ارتفاعه خمس أقدام وأن الرجال الذين يدخنونه يصيحون ويصرخون ببلادة وهم يخرجون الدخان من أفواههم وأنوفهم

(٢) اسمها النباتي Hibiscus cannabinus L وبالانجليزية ambari fibre plant وبالفرنسية gombo chanvre وبالهندية « انبارا » او « انباري »



أليافه تقتل الحبال وقد يعصر من بذوره نوع من الزيت  
 واما القطن فقد سَمِيَ بليفيوس شجيرته الجوسبيون<sup>(١)</sup> أو الزيلون<sup>(٢)</sup> ووصفه وصفاً نستنتج  
 منه أنه من فصيلة البامية القنبية نفسها وان ما كان ينبت منه في مصر العليا يحتمل أن يكون  
 القطن الشجري<sup>(٣)</sup> وقد أشار قُرْخِيل في شعره المعروف بالجورجيات<sup>(٤)</sup> الى هذا النوع من  
 القطن المستوطن في افريقية بين دائرتي الانقلاب . ولهذا فلا يستغرب وجوده في مصر  
 العليا . ولكن هل استطاع المصريون القدماء نسج ألياف هذا النبات ؟ الجواب عن ذلك  
 ما قاله بليفيوس من ان الكهنة المصريين كانوا يرتدون ثياباً قطنية . ومال بروكس الى اعتقاد  
 أن المَحْصَرَم المصري القديم كان مصنوعاً من قماش مادته القطن . واخيراً عثر روزيليني على  
 اصيص اصله من طيبة وما زال محفوظاً بمتحف فلورنسا يحتوي على بذور ولما فحصها  
 پارلاتوري وجدها تنتمي الى القطن الشجري

ومما تقدم يتضح لنا من دون شك ان المصريين القدماء عرفوا القطن الشجري ومن المحتمل  
 زراعتهم له . وقد اكد پولوكس الذي نشأ في نقراطيس<sup>(٥)</sup> بمصر القديمة ان المصريين في عهده  
 كانوا ينسجون الأقمشة من الياف ثمار هذا النبات<sup>(٦)</sup> ولكن يظن في الغالب انهم لم يفعلوا  
 ذلك إلا في زمن متأخر . والى هذا يرجع عدم العثور على أقمشة قطنية في مقابر الفراعنة

\*\*\*

## الاعلام في هذا المقال

بليفيوس ( Pliny )

كاتب روماني يعرف بالأكثر لتمييزه عن ابن أخيه ولد سنة ٢٣ ب . م وبعد خدمة له  
 في جرمانيا عيّن نائباً عن القيصر في اسبانيا سنة ٦٧ فقائداً للاسطول وفي سنة ٧٩ هلك

(١) gossipion (٢) xylon

(٣) اسمه النباتي Gossypium arboreum L. وبالانكليزية tree cotton وبالفرنسية  
 cotonnier en arbre (٤) الجورجيات في اللغة اليونانية معناها الفلاحة وقد تناول ما ورد فيها  
 من شعر حياة الرعاة صنفها فرجيل حوالي سنة ٤٠ ق . م وهي أربعة مجلدات

(٥) نقراطيس مستعمرة من اليونانيين القدماء في الوجه البحري بين القاهرة والاسكندرية وهي المعروفة  
 الآن باسم النيرة . وقد احتكرت التجارة اليونانية في مصر من زمن احسن الثاني حتى الغزو الفارسي  
 (٥٧٠ — ٥٢٠ ق . م)

(٦) يؤيد هذا ما جاء في أحد المراجع الاميركية من ان القطن الشجري دخل مصر في أواخر عهد  
 الاسر المعرية القديمة عن طريق بلاد النوبة أو السودان الشرقي



في ثوران بركان فيزوف . وقد كان لا يعرف الملل في طلب العلم والاستقصاء ويتناول مؤلفه في التاريخ الطبيعي أيضاً البحث في النقش والتصوير وغيرهما . قيل إنه قرأ ألفي مصنف لتنسيق هذا المؤلف المكوّن من ٣٧ مجلداً

فرجيل ( Vergil or Virgil )

شاعر روماني شهير ولد سنة ٧٠ ق . م ومات بإيطاليا سنة ١٩ ق . م وبعد أن تنقّف في روما وغيرها عكف على البلاغة والفلسفة والشعر وقد قضى آخر مني حياته في الريف ومن ضمن مصنفاته « الجورجيات » كتبها بين سنتي ٣٧ — ٣٠ ق . م

ميتخ كارل بروكش ( Brugsch, Heinrich Karl )

عالم ألماني شهير في العاديات المصرية ولد ببرلين في ١٨ فبراير ١٨٢٧ ومات بها في ١٠ سبتمبر ١٨٩٤ ومن مؤلفاته « معجم في اللغتين الهيروغليفية والديموطيقية » ( ١٨٦٧ — ١٨٨٢ ) و « مذكرات عن رحلات في مصر » ( ١٨٥٥ ) و « الآثار المصرية » ( ١٨٥٧ ) و « مجموعة الآثار المصرية » ( ١٨٦٢ — ١٨٦٦ ) و « تاريخ مصر في عهد الفراعنة » ( ١٨٧٧ ) و « المعجم الجغرافي لمصر القديمة » ( ١٨٧٩ — ١٨٨٠ ) وغيرها

إبوليتو روزيليني ( Rosellini, Ippolito )

عالم ايطالي بتاريخ الشرق وبالعاديات ولد في پيزا بإيطاليا سنة ١٨٠٠ ومات بها في ٤ يونيه ١٨٤٣ وعاون شامبوليون في مصر وصار استاذاً للغات الشرقية في پيزا من ١٨٢٤ — ١٨٣٩ ثم عين استاذاً للعاديات . وقد ألف كتاباً عنوانه « آثار مصر وبلاد النوبة » ( ١٨٣٢ — ١٨٤٠ )

فيلبي بارلاتوري ( Parlatore, Philippe )

ايطالي عالم بالطبيعيات وطبيب شهير ولد بإليرم عاصمة صقلية في ١٨١٦ ومات بفلورنسا في ١٨٧٧ . هجر الطب سنة ١٨٤٠ وعكف على علم النبات وأهم مؤلفاته فيه « النباتات الايطالية » ( ١٨٥٠ — ١٨٩٠ ) وأتم هذا المؤلف كارويل

يوليوس بولوكس ( Pollux, Julius )

يوناني عالم في البلاغة وقواعد اللغة ولد في نقراطيس بمصر القديمة ومات بأثينا (في القرن الثاني الميلادي) وأثره الوحيد الباقي هو معجم يوناني في عشرة مجلدات يُعدُّ مرجعاً نادراً ونفيساً لكثير من الموضوعات الخاصة بالآثار القديمة « يتبع »



# تدريب الخلق

الروماني

لوديع الضبع

ما أحوجنا في هذه الأيام المكفهرة التي تتطاحن فيها أمم الأرض بجميع ضروب الأسلحة وآلات الهلاك والتدمير ، ويناضل رجال السياسة بعضهم بعضاً دون التقيد في أغلب الحالات بقيود أدبية أو وسائل شريفة — ما أحوجنا الآن الى أن نهمل ولو الى حين قصير أخبار المعارك والحروب والمناقشات والدسائس ونشغل أنفسنا بمعضلات الحياة الاجتماعية العامة أو الخاصة والمسائل الاقتصادية والخلقية الى غير ذلك من الشؤون التي قد تنير السبيل للنشء اليوم فيرى كيف تقوم أسس الحضارة الحقيقية وأسباب عظمة الشعوب والدول. وليس ثمة بحث أروع أو أمتع أو أجدى في هذه الناحية من أساليب الرومان القدماء أيام الجمهورية الأولى في تربية النشء وتهذيب خلقه وتدريبه لمجاهمة مشكلات الحياة العديدة خاصة كانت أم عامة ومع ان الرومان الذين شادوا أكبر امبراطورية عرفها التاريخ في العصور القديمة قد اندثروا وضاعت معالم امبراطوريتهم المترامية الاطراف إلا أنهم ما زالوا حتى اليوم يؤثرون تأثيراً عميقاً مباشراً أو غير مباشر في حياة الأمم الحديثة ، وما زلنا ننتفع بعبقريتهم في التشريع ووضع القوانين . ونتمتع عن طريقهم بأفضل مبتكرات العقل الاغريقي من فن وآداب وعلوم . ولقد قال المستر أسكويث أحد رؤساء الوزارة البريطانية السابقين معبراً عن دين العالم الكبير للرومان « لقد شيدت روما سواء في الآداب أو الفنون أو الفلسفة أو الاديان الجسر الذي انتقل فوقه خير ما خلفه العالم القديم من الافكار والآثار الى العالم الوسيط ومن ثم الى العالم الحديث » . ولكي ندرك ادراكاً صحيحاً الأمس التي قامت عليها الامبراطورية الرومانية ، ونفهم جدارة الرومان عن حق بما أصابوه من عظمة ومجد وخلود يجب ان ندرس حياة الرجال والنساء العاديين فيهم في حياتهم اليومية وأعمالهم العادية ونتعرف مناقبهم ونقائصهم فهم الذين يكونون الأمم ويمثلون آدابها وشرائعها كانت التربية الرومانية تقوم على أساس سليم في تكوين الخلق . فهي تبدأ وتنتهي في البيت . وكان أثر الأم في هذه الناحية لا يقل خطراً عن أثر الدين . وكان مركزها وطيداً في البيت ، لها الهيبة والمكان الثاني في الأسرة بعد الأب



وهنا يجدر بنا أن نذكر شيئاً عن نظام الأسرة familia التي كانت أساس المجتمع الروماني والتربية الرومانية . فلم يكن يعنى بها على وجه الدقة ما يقصد عادة بكلمة أسرة الآن ، بل ربما كانت العشيرة أقرب إليها في مدلولها ، أي جماعة متقاربة من الافراد يعتمدون على ما تنتجه الأرض لهم . فلم يكن يقصد بها الاب والام وأولادهما وحسب . بل كانت تشمل أيضاً الاتباع سواء أكانوا أحراراً أم أرقاء . وكان الاحرار يتألفون من العملاء الذين انضموا الى الأسرة في مركز أدنى واعتمدوا عليها في معاشهم وحمايتهم ، أما الأرقاء فكانوا يتألفون من أسرى الحروب وأولادهم او الذين فقدوا حريتهم لعدم تسديدهم ديونهم

\*\*\*

وكانت الأسرة تشمل أيضاً ارواح العشيرة الالهية التي كان يعتقد الرومان انها تسكن معهم في المنزل أو على الأرض الزراعية وهي التي كان ينتظر منها أفراد العشيرة العون والحماية في جميع مراحل الحياة . وكان لكل روح منها اسم وعمل خاص وأهمها فستا Vesta روح البيت وبيناطس Penates روح الخازن . ومع ان هذه الارواح لم تكن في مرتبة الآلهة الا ان عقل الروماني البدائي كان يعدها عضواً حقيقياً عاملاً كأى عضو بشري من أعضاء الأسرة او العشيرة

وان الظروف الخارجية التي أحاطت بروما ولا سيما مركزها الجغرافي الذي جعلها معرضة للهجمات المستمرة من جيرانها الاقوياء كانت عاملاً هاماً في تدريب أهلها في شؤون الحرب والسياسة منذ فجر تاريخهم . فقد ولدت في أهلها سجتين خلقتا فيهم روح الصمود للحوادث الجسام التي كادت تعصف بمدنيتهم ، تلك الروح التي كانت تخرجهم من كل كارثة انتابتهم أو ملة حلت بهم وهم أعظم قوة وأثبت جناحاً وأقدم وأصلح لأعمال الحرب والغزو . وهاتان السجتان اللتان تعبران تعبيراً دقيقاً عن الخلق الروماني في أكل مظاهره وأبهى ألوانه هما النظام والواجب أي سجية الطاعة المطلقة لولاة الامور والسلطات الشرعية وهي لازمة للحكم الصالح وسجية الشعور بالواجب وهو أساس قوة الدول وتقدمها

وكان الروماني يتعلم هاتين الفضيلتين الكبيرتين في البيت أولاً . فقد كان نظام الأسرة الرومانية الذي جمع بين البساطة المتناهية والمقتضيات العملية يقضي بخضوع جميع أفرادها خضوعاً مطلقاً لرئيسها وهو الاب والزوج . وإذا كان هنالك أكثر من أسرة واحدة تعيش معاً فيكون رئيس العشيرة وحاكمها المطلق هو اكبر الآباء والأزواج فيها

وكانت روما في بدء نشأتها تستخدم كقلعة تفد إليها أسرات الفلاحين في أزمته الخطر فقط حيث تقطن منازل بناتها فوق آكامها السبع . وكانت الأسرة تحترف الزراعة ويتولى كل فرد منها عملاً معيناً فكان ربهما يدير دون رقيب او حد من سلطته جميع اعمال



المزرعة التي يملكها ، ويفصل في جميع المنازعات التي قد تقوم بين أفراد الأسرة ويوقع ما يراه من عقاب عادل على كل ذنب أو هفوة ترتكب . أما أعمال المنزل الضرورية كطبخ الطعام وغزل الصوف للملابس أفراد الأسرة فقد تركت لزوجته وبناته . ونتج عن ذلك أن صار للزوجة بمضي الزمن نفوذ عظيم ، وإن كان نفوذاً غير مباشر في الحياة الرومانية الاجتماعية أضف إلى هذه الواجبات واجبات أخرى ينهض بها أفراد الأسرة جميعاً لأعضائها الروحانيين الذين كانوا يعتمدون عليها في حفظ صحتهم و ثروتهم ، فكان الجميع يقومون كل يوم بشكل بسيط من أشكال التعبد ، وفي أيام معينة من السنة لها تواريخ معلومة كانوا يحتفلون بلأعياد خاصة كعيد الحصاد أو بذر البذور أو قطف الفاكهة لتكريم آلهتها وذلك في احتفالات دينية يشترك فيها عادةً جميع أسر الأقليم الواحد . وكان يصحب هذه العبادات ألعاب ومسابقات رياضية يشترك فيها الشبان حتى تكون الحياة أقل مللاً وسآمة وأبعد من الضجر والسكابة ومن سوء الحظ لم تخلف سجلات معاصرة لتلك الأزمنة الاولى عن نوع التربية التي كانت تفرس في نفوس النشء الروماني . ولكن لا ريب في أن نضال رومة الطويل المشعب مع جيرانها أولاً ، ثم مع منافسيها الأقوياء داخل إيطاليا ثانياً ، ثم الخطر الذي ظل يلازمها فترة طويلة من الزمن في كفاحها ضد قرطاجنة ثالثاً ، كل هذا كان عاملاً كبيراً في توجيه الفضائل والسجاياء التي كان يرغب أن يتصف بها الشباب الروماني وجهة حربية ، فكان يعنى عناية خاصة بتدريبه على الصفات التي تمكن المواطن من الصمود امام العدو والتغلب عليه مهما يكلفه ذلك من جهد وتضحية . ولم يكن في وسع الرومان وقتئذٍ ان يعنوا بالفنون والآداب والفلسفة كما عني بها الاغريق ، فقد كانوا لا يخرجون من حرب حتى يدخلوا أخرى تحديق بهم إبانها الأخطار الداخلية والخارجية على السواء . فقد ركزت روما قواها جميعها وحصرت كل جهدها خلال نضالها الشاق الطويل ، في سبيل البقاء ، ذلك النضال الذي انتهى بأن أصبحت سيدة العالم المعروف وقتئذٍ .

فنعرف من كتابات كاتو عن التربية الرومانية وخطاباته لابنه والفصل الذي خطه بلوطرخس عن سيرته ان الشجاعة الجسمية هي الفضيلة الاولى التي وجه الرومان جل اهتمامهم لغرسها في نفوس أبنائهم ومع ذلك فلم يقصر كاتو مثلاً على تدريب ابنه على الركوب والملاكمة والعموم بل رباه ايضاً على أن يبتعد عن كل ما يشين . وكان هو شديد الحذر في ألا ينطق بكلمة بذئنة واحدة امام ابنه كأنه مائل في حضرة الآلهة

ولا شك ان الرومان كانوا يعنون بثقافة العقل ورياضة الخلق عنايتهم بغرس الشجاعة والنظام والواجب . ويرجح جداً انهم كانوا يبدأون بتلقين الفتيان في من الصبا بعض المبادئ الخاصة بواجباتهم نحو الدولة والآلهة فوق واجباتهم نحو أسرهم وأرواحها الحارسة . فكان يسمح



الأولاد الأسر الطيبة ان يصحبوا آباءهم الى السيناتو لسماع الخطب الرائعة التي كان يرثي بها عظماء المدينة بل كان يسمح لهم ايضاً في وقت ما بالدخول لاسماع ما يدور فيه من نقاش وخطب ويريوي كاتو قصة طريفة توضح اهتمام الرومان بغرس واجب خدمة الدولة في نفوس الأولاد ، تتلخص في أن ولداً اصطحب أباه الى مجلس الشيوخ ، وعند رجوعه سأله أمه في شيء من الفضول وحب الاستطلاع عن الامور التي دارت حولها مناقشات « آباء السيناتو » فأجابها الابن انه محرم عليه تحريماً قاطعاً أن يدلي بشيء منها لأحد . فما عمل هذا الجواب الا أن زاد فيها شهوة الاستطلاع فأخذت تشدد النكير وتلج عليه في إخبارها . وأخيراً لما ضاق ذرع الفتى بها فتق له ذهنه الحاد أكذوبة رأى فيها كاتو مخايل النجاسة ودلائل الفطنة والذكاء . ذلك ان الولد أخبرها ان السيناتو كان يتداول في : هل أفضل للدولة ان يتخذ الرجل لنفسه امرأتين او ان المرأة الواحدة تتخذ لها بعلمين فجزعت الأم للامر وأخبرت صديقاتها المتزوجات . وما جاء اليوم التالي حتى هرع عدد كبير من الزوجات الى دار السيناتو يلتمسن ويلحجن في الالتماس ان يخول لـكل امرأة ان تتزوج من رجلين بدلاً من ان يأذن لرجل في الاقتران بزوجتين ولم تذهب دهشة اعضاء السيناتو من ذلك الالتماس العجيب الا بعد ان أفضى لهم الولد بقصته ! ومنذ ذلك الحين لم يؤذن لولد آخر غيره ان يحضر جلسات المجلس اذ رئي مكافأته على أمانته وفطنته . وان هذه القصة لتدل دلالة واضحة على نوع الفضائل التي كان يجب غرسها في النشء حتى يتدرّب من صغره على خدمة الدولة والعناية بخيرها العام وكانت فضائل النظام والخضوع وإداء الواجب ماثلة على الدوام أمام الروماني في حياته العائلية وكفرد في الدولة . فقد كان للأب سلطان مطلق على زوجه وأولاده . ولكن كان هنالك عرف قوي نافع يمنعه من أن يستخدم تلك السلطة المطلقة استعمال مستبد غشوم . فقد كانت التقاليد الرومانية الواجبة الاحترام والتنفيذ تقضي عليه بأن يسترشد برأي مجلس من الاقارب قبل ايقاعه أية عقوبة صارمة لذنوب كبير ارتكبه أحد أفراد أسرته . وكذلك كان سلطانه المطلق على عملائه أو عبيده المعتقين يُحدّد بعادات الالتزام المتبادل التي أصبحت فيما بعد جزءاً من القانون . وحتى عبيده كان يلزمه العرف بأن يعاملهم معاملة أشخاص لازمين لحياة العشيرة . بل كانوا يشتركون الى درجة ما في عبادات الاسرة الدينية وكان نظام الدولة في رومة يشبه في وجوه عديدة نظام الاسرة . وأشد ما يستوقف انظارنا في هذا النظام هو سلطان رئيس الدولة سواء أملكاً كان أم قنصلاً أم حاكم اقليم ، ذلك السلطان الذي لا حد له على جميع مصالح الحكومة . فكما منح رب الاسرة سلطة مطلقة على جميع افرادها ، كذلك خُول الملك ثم قنصلا الجمهورية سلطة لا حد لها على جميع



المواطنين . وكان يعبر عن سلطة رئيس الدولة بكلمة imperium ، وهي كلمة لا تزال شائعة الاستعمال في أشكال شتى ومعانٍ مختلفة في اللغات الأوروبية

وكانت تعبر هذه الكلمة imperium للروماني أكثر من أي اصطلاح آخر عن فكرة النظام في الدولة وهو الايمان المتوارث جيلاً بعد جيل بوجود الخضوع خضوعاً مطلقاً للسلطات الشرعية واطاعتها طاعة عمياء . وكان العرف النافذ يقضي إيام الجمهورية بانتخاب صاحب السلطان بشرط أن تظهر الآلهة بعلامات معينة طيبة موافقتها على ذلك الانتخاب

وكانت رموز وظيفته عصياً وفؤوساً يحملها «السكرتورين» أمامه أينما حل وذهب . وهي رموز تذكر الروماني أن الواجب الاول على كل مواطن هو الطاعة المطلقة للسلطة القائمة ، أما السلطة غير الشرعية كمثل التي جاءت عن طريق التزوير أو التهديد والعنف فليس لها سلطان على احد ، ويجب ان تقاوم حتى تزول . وقد منح رئيس الدولة بموجب هذا السلطان سلطة مطلقة في الفصل في الأقضية والمنازعات بين الافراد وفي اصدار الاحكام والعقوبات حتى عقوبة الموت كذلك . وهنا ايضاً كان يتدخل العرف فينظم هذه السلطة حتى لا تستخدم استخداماً مستبدًا غشوماً إذ قضى بأن يستشير اعضاء السيناتو وان لم يجبره على ان يعمل بما يشيرون به . فكانت ممارسة السلطة والاحتفاظ بالنظام مقرونين على الدوام بروح الواجب والتزامه

وزى حب الرومان للنظام والعدالة وقيام كل فرد بواجباته مدنية كانت او عسكرية إبان الحروب . فقد كان يفرض على المواطنين الاحرار جميعاً سواء كانوا ينتمون الى طبقات ممتازة او غير ممتازة الانخراط في الجيش كواجب وطني ، ويدفعون من الضرائب كل على قدر طاقته ما كان ضرورياً للاغراض الحربية

وكان جميع الرومان يخدمون في الجيش بدون مرتب . وكان اكثر الناس يحملون اكبر الاعباء إذ كانوا يعتبرون ان لهم نصيباً اكبر في الدولة . وكان عليهم ان يشتروا من مالهم ما يحتاجون اليه من معدات حربية ما عدا الخيل فقد كانت الدولة تجهزهم بها لارتفاع أثمانها . وكانوا يوضعون في الصفوف الامامية أثناء القتال . اما افراد الطبقات الفقيرة وهم يؤلفون عادة المشاة فكانوا يقفون في المؤخرة اذ لم يكن في متناول يدهم ان يجهزوا انفسهم الاً بأبسط أسلحة القتال وأقلها كلفة . وبذا روض الجميع انفسهم على مبادئ الواجب والنظام حتى أصبحت الطاعة والخضوع واحترام السلطة القائمة والنيابة والاقدام أوقات الخطر عادات وسجايا مغروسة في نفوس الرومان على بكرة أبيهم

وبهذه المناقب الرفيعة والفضائل الكبرى أثبت الرومان العمليون قول أمير الشعراء

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا





# مكتبة المقتطف

من سلسلة إقرأ

١ — دستويفسكي للاستاذ حسن محمود

٢ — الشاعر الرقيم بودلير للاستاذ عبد الرحمن صدقي

صدرت من سلسلة « إقرأ » الى آخر شهر يوليو سبع حلقات : قصتان وبحث وأربع تراجم . وهي بهذا الوصف تصلح مادة لسلسلة من الموازنات النقدية ، بين اتجاهات موضوعاتها ، وطرائق مؤلفيها ، وطبائعهم الأدبية . أما القصتان فهما « أحلام شهر زاد » للدكتور طه حسين بك ، و « عود على بدء » للاستاذ المازني

وقد سبق لي أن تحدثت في المقتطف عن القصة الأولى في موازنة بينها وبين قصيدة الاستاذ العقاد ، وتمثيلية للاستاذ توفيق الحكيم . فلست أتوي الآن أن أعود الى الحديث عنها في هذا الحيز المحدود

وأما القصة الثانية . فأوثر ألا أتحدث عنها الآن . ذلك أن المازني عزيز عليّ . وأنا لم أكتب عنه قبل اليوم شيئاً ، فأحب ألا يكون أول حديثي عنه كلاماً عن هذه القصة التي يبدو لي أن حبكة الفنية قد أفلتت من بين يديه ، فأراد شيئاً وصنع شيئاً آخر . فلم تعد هذه القصة نموذجاً لعمله الأدبي ولطريقته الفنية ، والنظر فيها يجيء عند النظر في مجموعة أعمال المازني . وأنا بسبيل ذلك في بحث كبير يشمل « أعلام الأدب المعاصرين »

وأما البحث القيم « على مذبح المريح » للاستاذ فؤاد صرّوف فانا بانتظار توأم له عن « المذاهب السيامية المعاصرة » للاستاذ علي أدهم ليكون الحديث واحداً

وأما التراجم الأربع فأولاه « شاعر الغزل » للعقاد ، وهذه قد سبقتم منذ الشوط الأول فخرجت من السباق . على انني تحدثت عنها حديثاً مفصلاً في مقالة بالرسالة والثانية « شاعر ملك » لجارم بك . وهذه قد تخلفت منذ الشوط الاول فخرجت من السباق كذلك . ولا حديث لي عنها الآن أو بعد الآن !



بقيت الحلقتان الأخيرتان اللتان عنوانت بهما لهذا المقال . وكأنما تشاء الظروف جميعها أن تعقد بينهما موازنة مستقلة . فكلتاها عن فنان غربي، وكلتاها عن حياة هذا الفنان لا عن فنه ، وكلتاها بقلم كاتب من كتاب المدرسة الحديثة الشبان ( على معنى من معاني الشباب ) وكلتاها أول كتاب مؤلف يخرجهُ كلا الكاتبين ... وهكذا تجتمع المصادفات !

ولست أنوي أن أمتعرض هنا محتويات هاتين الحلقتين ، فحلقات السلسلة تقرأ في محيط واسع ، تدل عليه أرقام المطبوع منها وهي أرقام ضخمة بالقياس الى المعتاد من كتب اللغة العربية . فأكتفي إذن ببدء الرأي فيهما باختصار

وخلاصة هذا الرأي ، اني على كثرة ما قرأت للاستاذ عبد الرحمن صديقي من بحوث أدبية وفنية وتاريخية ، وعلى معرفتي الوثيقة بحسن اطلاعه ودقة حسه ، رأيت في « الشاعر الرجيم » شيئاً أكبر مما كنت أنتظر منه !

وان ما قرأته للاستاذ حسن محمود من الفصول ، وما أعلمه عن سعة اطلاعه وتنوع ثقافته جعلني أنتظر منه شيئاً أكبر من « ديستوفسكي » الذي لم يوفق فيه كل التوفيق وعلة هذا الحكم كامنة في الطريقة التي اتبعها كلا الكاتبين في العرض والتفسيق وفي تصوير حياة « البطل » وملابس هذه الحياة

فأما « الشاعر الرجيم » فتلمح فيه المصور المتمكن ذا الريشة الحاذقة ، الذي يرسم الخطوط ويصور الملامح ويوزع الألوان بدقة واضحة فلا تفلت الريشة من بين أصابعه ولا تختلج أو تخطيء في التقسيم والتلوين

وقد أفلح المؤلف في أن يشيع الحرارة والحركة في الصورة التي رسمها لبودلير ، وفي أن يوثق المعرفة بل التعاطف بيننا وبين « الشاعر الرجيم » وأن يجعلنا نتبع خطاه في الحياة وقلوبنا تحفق على وقع هذه الخطوات

وهذا بلا شك توفيق كبير . وان يكن هناك ما يقال في بعض الجزئيات والذي يقال : هو أن الحيز المحدود لحلقات السلسلة لم يكن يحول دون إضافات قليلة تشرح الجانب المجهول من حياة « بودلير » وهو جانب ثقافته واطلاعه وعناصر تكوينه الفنية — بعد ما أفاض المؤلف إفاضة واسعة في عناصر تكوينه النفسية ، فهذا الجزء مطوي بسرعة كبيرة . ولعلنا هنا في الشرق أحوج ما نكون لأن نعلم عن أمثال بودلير من الفنانين الشواذ جوانب الجد والخير مع جوانب العبث والشر فالشباب المصري أو الشرقي عامة يريد الشهرة والمجد بلا تعب ولا كد ويتخيل حياة الفنان تخيلاً خاطئاً أو مضللاً ، ويمجد في المتعارف عن أمثال بودلير ما يشجعه على جني الاشواك دون الازهار



وكذلك لم يكن هذا الحيز يضيق عن صفحات تتحدث عن طبيعة بودلير الفنية وعن أثره في الأدب الفرنسي وفي الأدب العالمي فقد طوى ذلك كله في سطور وهذه السلسلة إنما تصدر لقراء العربية، لا لمن يستطيعون الرجوع الى المصادر والثقافات الغربية وهذا كل ما يقال وأما «ديستويشسكي» فقد اضطربت الريشة في يد مؤلفه، فتداخلت الخطوط والملاحم وتقدمت الحوادث والشخصيات في بعض الاحيان أو تأخرت و«طرطشت» الريشة في احيان أخرى. وخرجنا من الكتاب بسجل من الحوادث التي أملت بحياة المؤلف ومن الشخصيات التي اعترضت طريق هذه الحياة، ولكننا لم نعرف عن «نفس» ديستويشسكي الا قليلاً، ولم نعرف عن طبيعة عمله الفني الا قليلاً كذلك. ولست أعني أنها ترجمة فاشلة. فالمسافة كبيرة بين هذا الوصف وبين الحقيقة بل أعني فقط ان التوفيق فيها لم يكن كاملاً، ولكنها — على كل حال — تعريف للقارئ العربي بحياة الروائي الكبير

بقيت مسألة أخرى بعيدة كل البعد عن الموضوع وعن طريقة التأليف. مسألة خطرت لي وأنا أقرأ هذين الكتاين فأثارا في نفسي قضية كنت قد أنكرتها طويلاً. تلك هي قضية الأسلوب. الأسلوب التعبيري في ذاته بغض النظر عما يؤدي اليه من المعاني والافكار! فأسلوب الاستاذ حسن محمود أسلوب هادئ بسيط مريح، ولكن فيه مع ذلك شيئاً... يصعب تحديده، ولا أملك في وصفه الا أن أقول: إنه مطلقاً الطلاء ينقصه شيء من البريق المقبول، وان البساطة فيه تستحيل في بعض الاحيان الى سذاجة بدائية وضعف في التعبير. ولست أدري مدى عناية الاستاذ بالقراءات العربية، ولكنني أتمنى ان تتكافأ مع اطلاعه الواسع وأدبه الغزير

وأما أسلوب الاستاذ صديقي فواضح فوق رأس الجرس لامع الطلاء ومع هذا فقد أحسنت فيه بشيء ما حرت أول الامر في تحديده ثم وضحت في حمي رويداً رويداً. ذلك ان موسيقاه — ولكل أسلوب موسيقى — هي موسيقى التقابل والتقسيم، لا موسيقى التمجيد والانسياب، ولهذا أثره في وضع حدود مرسومة أمام الحس في أثناء القراءة تجعله في لحظة دأمة لمواضع التقابل والتقسيم

وانه ليخيل اليّ أن هذه الموسيقى إنما تنبعث دائماً من الآلات النحاسية، ولا تنبعث الاً نادراً من الآلات الوترية. ولهذا تفوتها بعض النغمات الرقيقة السارية بين الاوتار! ولوتخيلنا للأساليب ألواناً — وكثيراً ما يخطر بالوم ان للأسلوب لوناً — فاننا نجد الألوان في هذا الأسلوب هي ألوان المعادن لا ألوان الأزهار. فالأحمر مثلاً هو لون النحاس لا لون الورد، والأبيض هو لون الفضة لا لون الفلة، والأصفر هو لون الذهب لا لون الوردة... وهكذا!



وهذه أو تلك خاصية أسلوب لا سبيل فيها الى التغيير والتحويل ، وهي في بعض المواضع حلية وزينة ولكنها حين يبالغ فيها تصبح عائقاً في طريق اللذة الفنية . وهذه المبالغة يمكن تجنبها بلا جدال ، هي وبعض التعبيرات القاسية القالب التي توجد بين الحين والحين ، مثل قوله في مقدمة الكتاب : « ليست هذه بالترجمة الخالصة لحياة بودلير ، ولا هي بالدراسة النقدية الخالصة لشعره ولكنها الشئتان معاً ، وإذا صح ان كان بين الفنانين من قام موضوع فنه بمعمل عن موضوع حياته ، فان بودلير من ذلك في القطب المقابل والطرف النقيض » . فهذا كلام واضح وكلام دقيق ، ولكنه حاد التقسيم عنيف التقابل ، لا سبيل فيه الى التوج والانسحاب المريح ، وبعد فاننا نرحب بالكتاب الاول لكل من السكاتين ، لأنه بدء التحول في حياتهما الأدبية من أدب المقال الى أدب الكتاب ، وهو تحول مرغوب فيه مطلوب من كتاب الشباب

حلوان  
سيد قطب

### ميدو وشركاه

للاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني — ١٦٨ ص من القطع الصغير  
القاهرة ١٩٤٣ — تطلب من مكتبة المعارف ومطبعتها بمصر

وهذه قصة ثالثة يخرجها الاديب الكاتب القدير الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني . وكان الاستاذ المازني كأنه ترك التأليف في السنوات الاخيرة حتى تساءل الناس في شأنه فاذا به يتحفهم هذه السنة بثلاث نفائس على التوالي . وقد وصف صديقنا الدكتور بشر فارس — قبل سفره الى لبنان وفلسطين — القصصتين الاوليين وذهب في تحليلهما وتقديرهما مذهباً نظن قارئ المقتطف عرف به طريقة الاستاذ المازني في الابتداع وأسلوبه في الانشاء وهذه القصة الثالثة على نحو السابقتين . إلا أنها أقرب الى فن الدعاية منها الى فن التحليل وألصق بالأسلوب القريب منها بالأسلوب البعيد . وحوادث القصة تجري في زمان واربعين ساعة بسرعة لا يدانيها إلا سرعة الصور المتحركة . فكلمها نشاط واندفاع . وأما أشخاصها فنترعون من صميم الحياة وكأنك تلابسهم وتعاشرهم ففهم الظريف والثقيل والطائش والزين والمتهمس والبليد . وأما النساء فرسومات بريشة العارف لهن العاطف عليهن : حبيبة وأخت وأم وزوج تارة في نضال وأخرى على وئام . واسلوب القصة يتراوح بين الفصحى المختارة التي اشتهر بها قلم الاستاذ المازني وبين العامية احياناً اذا انساق الحوار اليها على ألسنة الخدم وبين لغة وسطة لا تثب الى القمة ولا تنحط وهي المستعملة عند الحديث السهل البسيط وتمتاز هذه القصة بالخفة والتندر فهي جد مشوقة . ولا يسعنا إلا ان ندعو القراء الى استلذاذ فصولها ومصاحبة مؤلفها الخفيف الظل البارع الاداء



## ١ — خيوط الغمام

ديوان شعر لعبد الله يوركي حلاق — ١٤٠ صفحة من القطع الصغير — مطبعة كامل سبع بحلب  
هذا الديوان مجموعة من الشعر الوطني الاجتماعي الغزلي ، وفكرة الوطنية عند هذا الشاعر  
لا تضيق فتحده بالحدود السياسية التي خلقها مقتضيات السياسة . ولكنها تتسع الى ما وراء  
هذه الحدود فتجتازها وتحطمها وتلتقي عند فكرة الوطن العربي الأكبر ، ولواء العروبة هو  
اللواء الذي يسير الشاعر تحت ظله مغنياً أناشيده لعل شباب العرب في كل قطر عربي  
يرددونها فتفيض بالاتحاد قلوبهم : —

هذا لو اننا امتدَّ من أقصى العراق الى اليمن  
فانظره يخفق في السما كالقلب يخفق في البدن  
واسمعه يدعو العرب للمجد الرفيع .. أو الكفن

وتظهر فكرة العربية عند الشاعر في شغفه باللغة العربية التي تربط هذه الاوطان  
السياسية برباط وثيق ، فهو يحبها ويعاهد بأن يبذل جهده في سبيل سموها . اسمعه يقول :  
سأبذل في سبيل الضاد جهدي لتسمو الضاد بالأدب الرفيع  
خب الضاد ينمو في فؤادي نموَّ الزهر في فصل الربيع

ويعجبك من هذا الشاعر المسيحي سماحته ونظرته الواسعة الى الأديان الأخرى ، ولعل  
ذلك راجع الى طبيعة الخير المتأصلة في نفسه القادرة في فؤاده ، فهو يشيد بالاسلام في كل  
موضع يتطلب الاشادة ، وهو يمدح النبي محمداً ويخصه بأحدى الطوال من قصائده . ويعدد  
من جوانب الرسول العربي ما يقتضيه الانصاف والصدق الذي يتجلى به الشاعر الحق . وهو  
هنا يذكرنا بالشاعر المسيحي العربي الاستاذ وصفي قرنقلي الذي مدح النبي عليه السلام  
بقصيدة نشرت في الجزء الثاني عشر من كتاب « الحديقة » الذي كان يُصدره في القاهرة  
الاستاذ الجليل محب الدين الخطيب

وليس عجباً أن تبدو هذه الروح السمحة الصافية من الشعراء الذين اختصتهم الطبيعة  
بصفاء النفس وصدق الحس ، فالعرب أخوج الأمم الى نبذ التعصب الممقوت الذي يجد فيه  
العدو مرتعاً لنفث سموه . ولقد قامت النهضة القومية في البلاد العربية على هذا الاساس ،  
وهذا شوقي أمير الشعراء يقول في العلاقة بين المسلمين والاقباط : —

أعهدتنا والقبط إلا أمة في الحق واحدة تروم مراما  
نُعلي تعاليم المسيح لأجلهم ويقدمون لأجلنا القرآنا



ولكن شوقي فاته من تعليل حب المسيح ومحمد ما لم يفت شاعرنا عبد الله يوركي حلاق ...  
فالمسلمون — عند شوقي — يحبون المسيح لأجل النصرارى ... والنصارى يحبون محمداً لأجل  
المسلمين ... ولكن الاستاذ عبد الله حلاق يعلل حبه محمداً بقوله : —  
اني أباهي بالرسول لأنه صقل النفوس وهذب الوجدانا  
ولأنه داس الجهالة وانتضى سيف الجهاد فخطم الأوثانا  
ولأنه حفظ العروبة وابتقى للعرب مجداً رافق الأزمانا

\*\*\*

قلت ان في هذا الشاعر طبيعةً خيرةً ، وهذه الطبيعة تبدو في ألحان مختلفة نظمها في  
الفقر وقسوة الشتاء عليه ووجوب الاحسان على الاغنياء للفقراء وكرم العروبة وغيرها ،  
وهي قصائد أو مقطعات صغيرة تحمل أكبر المعاني وأنبل العواطف . ومدائح لبعض كرام  
أهل الشام تدور حول معاني البر والرحمة والانسانية والأخوة والشفقة التي أوجبت عليه  
مدحهم وأنطقته بثنائهم  
والديوان على ضالة حجمه مليء بما يدل على العاطفة الخيرة ، والنفس الشاعرة  
والقلب الكبير

## ٢ - في الادب المصري

للاستاذ امين الحولي بكلية الآداب . طبع بمطبعة الاعتماد صفحاته ١٤٤ من القطع الصغير

هذا الكتاب ليس بحثاً في الادب المصري ، ولا دراسة لهذا الادب في مختلف عصوره .  
ولكنه فكرة يدعو المؤلف اليها ويؤمن بها الايمان كله ، ويدافع عنها في حرارة وتحمس  
بالغين . وبجانب الفكرة منهج دراسي وضعه المؤلف للراغبين في دراسة الادب المصري ،  
وخطة التزامها المؤلف في دعوته الى اعتناق فكرته والتزام منهجه  
والفكرة جديدة من حيث الاعلان عنها والدعوة لها والمجاهرة بها في كتاب يطبع وينشر  
وينتظر من المقاومة ما يصادف الدعوات الجديدة والأفكار الناشئة . ولكنها قديمة من حيث  
خطورها على البال وحدوثها في الذهن  
والفكرة التي يدور حولها الكتاب هي « أقليمية الادب » . والاستاذ امين يناصر  
هذه الفكرة ويرى انها أقوم السبل لخلق أدب اقليمي متميز موسوم بسمه الاستقلال  
ومطبوع بطابع البيئة المحلية ، بدلاً من هذا ( الادب العربي ) المشترك الذي لا يميز أقليمياً من  
اقليم ولا بيئة من بيئة



وظاهر الدعوة أن المؤلف يرى تقسم البلاد العربية الى دويلات وممالك سياسية. وان هذه الدويلات تجمعها وحدة اللغة العربية، ولكن تفرق بينها عوامل شتى من البيئة المحلية. فليس من الحق - في نظره - ان نفعل هذه العوامل البيئية ثم نحاول أن نجمع هذه الآداب العربية المختلفة البيئات في إطار واحد هو «الآدب العربي» والرأي عنده أن تظهر شخصيات البلاد العربية الآن في آداب مستقلة بكل واحدة منها. فالآدب المصري والآدب الشامي والآدب العراقي والآدب الحجازي يجب ان يستقل كل واحد منها بالدراسة الخاصة والمميزات الخاصة والاقليمية الخاصة، ولا بأس - بعد ذلك أن تندرج تحت الاسم العام: الآدب العربي ولا شك ان هذه الدعوة تلقى اعتراضاً من كثير ممن يؤمنون بالوحدة العربية ويدعون لها، ومن يرون ان الاسلام واللغة العربية هما الرابطة التي يجب ألا تدانها رابطة اخرى من وطن او جنس او اقليم. ولقد لقيت هذه الدعوة بالفعل اعتراضاً سمعه المؤلف فيما يدور من نقاش حول دعوته، ولهذا هيأ قلمه لدفع الاعتراض في كتابه. كما دفع كل ما يمكن أن يطرأ من اعتراض أو يقوم من انكار دعوته. وتلك براءة من الاستاذ أمين الخولي. فهو لم يصدع بامر دعوته إلا بعد ان ناقش وجادل وحادث وعرف مواطن الاعتراض عليه، فقام يدعو وفي يمينه دعوته وفي شماله براهينه وحجته، فقطع بذلك أوجه الاعتراض على المعارضين والدعوة الى فكرة الاقليمية في الآدب دعوة شائكة ليس من اليسر تناولها من غير اثارة جدال عنيف، وليس من السهولة المجاهرة بها من غير تعرض لسخط الساخطين الذين يرون في العروبة والاسلام أصلاً كبيراً تجتمع حوله الاصول الصغرى مع الديتونة لتلك الأصل والفناء فيه.

ولكن المؤلف كان بارعاً في دعوته فهو يغضبك اذا دعا ويعجبك اذا استدل، ويرضيك اذا ناقش وخاصة حين يرد على من يخشون من دعوة الاقليمية أن تكتسح الدعوة العربية الكبرى. فهو هنا يفرق من المناقشة بحجة أن البحث العلمي غير العواطف والميول وأنه من الخير لدعاة الوحدة العربية ان يقووا روح الاقليمية في نفوس الشعوب العربية حتى تكون وحدتهم المرجوة مبنية على بنيان راسخ وأساس متين ولقد يعترض على المؤلف أن انهاء فكرة الاقليمية في الآدب فيه توهين للفكرة العربية العامة، وفيه قطع للصلات بين البلاد العربية التي يؤلف بينها هذا اللسان العربي وهذا الآدب العربي ولكن المؤلف أخذ لذلك حيطته فهو يرى انهاء الاقليمية مع الاحتفاظ في الوقت نفسه بالصلات الوثيقة بين البلاد العربية، وخاصة بينها وبين الجزيرة العربية التي يجب ان تكون موضوعاً مشتركاً للدروس من كل البلاد العربية في منازلها واطنائها السياسية المختلفة



توثقت بين البلدين الكريمين حتى ولو كان ذلك قبل الاسلام

ويظهر لنا ان المؤلف الفاضل ممن يدينون برأي غومستاف لوبون في التكرار وترديد الفكرة مرات ومرات حتى تستقر في الاذهان وتجذب الى القلوب سبيلاً . والمؤلف هنا نفسي من طراز لبق ، فهو يدعو ويكرر الدعوة ، ويناقش ويكرر المناقشة ، ويرد

ويكرر الرد حتى ليخيل اليك ان كل صفحة لاحقة من كتابه هي ترديد لصفحة سابقة ولعله غالى فيه

وجميل جداً ان يدع المؤلف تقديم كتابه الى واحد من تلاميذه المعروفين بالنشاط الوفور والدأب في سبيل العلم والدرس

هو الاستاذ عبد الحميد يونس أحد أعضاء لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية

\*\*\*

وفي الكتاب بعض هفوات كقوله في صفحة ٢٩ (وما محاولة العناية بالاقليمية اليوم الا لونا) . والصحيح لون بالرفع ، وكهفوات أخرى من عجلة الطبع وسرعة التهيئة للنشر لا تخفى على القارئ

وهذا الاقتراح الاخير يبدو غير عملي والسبيل اليه متقطعة والأسباب اليه غير مادة لأن المنهج الذي أعده المؤلف لدرس الجزيرة العربية منهج تنوع به العصبية أولو القوة وهو يحتاج الى مال وجهد لا تسعفه ولا تعين عليه طبيعة الجزيرة العربية

لاشك ان التعاون الادبي بين الوحدات القوية الشخصية المستقلة الكيان الواضحة المتميزة التاريخ هو التعاون المثمر المجدي . فاذا ما ظهرت الاقليمية في مصر قوية واضحة الشعور بنفسها ، وظهرت الاقليمية في العراق قوية واضحة كذلك وظهرت في غيرها من البلاد العربية قوية واضحة ، ظهرت البلاد العربية في مجموعها ، قوية واضحة الشخصية لأنها تتكون من افراد اقوياء الشخصية . وهذا هو دليل من أدلة الرأي عند المؤلف دما اليه وكرره في أكثر من صفحة

فظهر الاقليمية في مصر لا يقطع الصلة بينها وبين العراق مثلاً ولكنه — على الضد من ذلك عند المؤلف — يحوج أهل البلدين الى التعاون والكشف عن صلات قديمة

صاق نطاق « المكتبة » في هذا الجزء من المقتطف عن الاتساع لجميع الكتب التي اهديت اليها فوعدنا ببحثها بحثاً وافياً العدد المقبل ان شاء الله ونخص منها بالذكر

١ — مطالعات علمية : للدكتور علي مصطفى مشرفة بك

٢ — قصة الادب في العالم — الجزء الاول — للاستاذين احمد امين بك وزكي نجيب محمود

٣ — الفن ومذاهبه في الشعر العربي للدكتور شوقي ضيف



## ٣ - أنات حائرة

ديوان من شعر الاحزان والاشجان — لعزير بك أباطه

مطبعة المعارف في ١١٢ صفحة من القطع الصغير

كنت في طريقي الى « الاهرام » مكرراً التعزية في فقيدها الكبير ، فاذا هناك نسخة تنتظرني من هذا الديوان هدية من مؤلفه الفاضل عزيز بك أباطه مدير البحيرة . وهو رجل لم تصلني به صلة ، ولم تجمعني به معرفة ظاهرة . قرأت هذا الديوان النفيس حرفاً حرفاً فاذا هو نفس حزينه منطوية على همومها : مغمورة في الآلام حتى إنها لتجد فيها شفاء غليلها وراحة صدرها . وقصة هذا الديوان هي قصة الدموع ، والنار المتلظية بين الضلوع . هو قصة الرجل الكبير في قلبه ، المخلص في حبه الهادىء في عشه الناعم في ظل زوجته فاذا الموت يهدم لذات هذا العش الهادىء الجميل ، واذا الزوجة الوفية المخلصة تنتقل الى الدار الآخرة تاركة عشا موحشاً كثيباً ، وزوجها وحيداً غريباً . واولادها حيارى يتامى : يتلفتون فلا يجدون ، وينادون فلا يجابون ...

\*\*\*

قصائد هذا الديوان الحزين نظمت كلها في عام او قرابة العام ، فأولها نظم في يونيو سنة ١٩٤٢ وأخرها في يونيو سنة ١٩٤٣ ، وهي فترة — على قصرها في عمر الدهر ومسافة الزمن — مليئة بأشجان هذا القلب المحطم وذكرياته . فهو يبكي اذا وقف على عرفات في غمار الآلاف المؤلفة من حجاج البيت الحرام وزوجته ليست معه تلي كما يلبون ، وتكبر كما يكبرون ... هو يبكي اذا أהלّ هلال رمضان الفات فاذا به يتفقد أليفته فيراها كما يذكر في الديوان وقد : —

ذهبت كما ذهب الضحى متألقاً وبقيت أضرب في الليالي الجون  
وذوت بشاشات الحياة ولم يعد في أنسها « يازين » ما يُصبيني ...

وهو يبكي اذا وقف على قبر السيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها بالحجاز لأن هذا القبر الطاهر يذكره بقبر آخر في قرية « الربماية » بمصر أودعه أوفى الأوفياء له ، وأعر الناس طراً لديه . وهو هنا يصنع كما صنع متمم بن نويرة حينما قال في رثاء أخيه مالك : —

وقالوا أتبكي كل قبر رأيته لقبر ثوي بين اللوى فالدكادك  
فقلت لهم ان الشجى يبعث الشجى دعوني ! فهذا كله قبر مالك



هذا الديوان كشف عن عزيز أباطة بك شاعراً مصرّياً معاصراً من طراز رفيع ، ومن عجائب الدهر أن تكشف المصائب عن حسنات ، وتعلن الفجائع عن روائع ... ويظهر أنه شاعر متواضع ، يكره الاعلان عن نفسه والتحدث عن بضاعته  
ولقد كان يكون له من مناصبه الادارية الراقية ما يعينه على نشر شعره والاعلان عنه والدعاية له . ولكنه أثر الصمت ، واختار الانزواء ، وفضل الغناء همساً لنفسه أو لخاصته حتى نكبه الدهر في زوجته . فأثر أن يكون أول نتاج أدبي له باقة من الشعر العربي الرصين المنحوت من قلبه ، والمصبوب من دمه — لتكون تذكراً لها  
ولقد ربأ الشاعر بذكرى فقيدته الغالية ان يكون شعره لها ، ودموعه الغالية فيها موضوعاً رخيصاً للبيع والشراء في سوق الادب . ولكن هذا الشعر — الذي يؤثره كل محزون — دموع الشاعر أهداها الى من رأى ايثارهم بها ، او لمن شاء من كل حزين اقتناءها وليس في تاريخ الادب العربي — على ما نعرف — من رثى زوجته بديوان بأكمله كما صنع عزيز أباطة اليوم ، فسلم بن الوليد يرثى زوجته بأبيات منها : —

غدت والثرى أولى بها من وليها الى منزل ناء بعينك دان  
فلا حزن حتى تنزف العين ماءها وتترف الاحشاء بالخفقان  
وكيف بدفع اليأس والوجد بعدها وسهماهما في القلب يعتلجان  
ومحمود سامي البارودي رثى زوجته بأبيات منها : —

لا لوعتي تدع الفؤاد ولا يدي تقوى على رد الحبيب الغادي  
يا دهر فيم فجعتني بجميلة كانت خلاصة عدة وعطادي  
ان كنت لم ترحم أساي لموتها هلاً رحمت من الضنى أولادي؟؟

ولكن عزيز أباطه — الشاعر الذي كشفته لنا الاحزان — يصنع من دموعه الغزار ديواناً برمته ثم يتحف به الادب العربي في باب المراثي الخالدة

\*\*\*

لقد كنا نرجو ان يكون أول ما يصدر عن عزيز بك شيء غير الدموع والآلام والاحزان والاشجان والحزن ، والانين ... ولكن شاء الله أن تكون دموعه هي سبيل تقديمه الينا ... فسنجمل هذه الدموع ونكبرها لانها دلتنا على رجل جليل ، ومثال في الوفاء قليل .

محمد عبد الغني حسن



## مجلة جمعية الآثار القبطية

تبدي جمعية الآثار القبطية نشاطاً ملحوظاً في النهوض بدرس إحدى نواحي تراث مصر القومي ، وهي ناحية الفن والآداب والتاريخ القبطي ، وما يتصل بها من الفنون والآداب والعلوم الأخرى ، فتتظم المحاضرات والمعارض والرحلات الى المناطق الأثرية ، وتشجع على نشر الوثائق التاريخية والكتب العلمية . وتصدر مجلة سنوية تنشر فيها بحوثاً نفيسة في الشؤون القبطية وغيرها

وقد ظهر في الأيام الأخيرة المجلد الثامن من هذه المجلة حافلاً بكثير من الموضوعات باللغات العربية والانكليزية والفرنسية . ويقع هذا المجلد في ٢٤٠ صفحة تضم ثمانى لوحات مصورة ، عدا ما في المتن من صور أخرى ، وهو مطبوع طبعاً جيداً فيحقق لجمعية الآثار القبطية ان تفخر بمجلتها وبمجلتها ، وان تضعها بين أرقى المجلات العلمية

وقد افتتح الدكتور دريتون هذا المجلد بمقال نفيس عن نقش يمثل « اليهود الثلاثة في أتون النار المتقدة » . وقصة اليهود الثلاثة شدرخ وميشخ وعبدنغو موضحة في الاصحاح الثالث من سفر دانيال ، ويقول الدكتور دريتون ان هذا النقش هو رابع ثلاثة نقوش أخرى قبطية وجدت في مصر تمثل هذه القصة وتبين مقدار تأثير فن التصوير المسيحي في هذه البلاد

وبلي ذلك مقال للاستاذ بيانكوف عن القديس ابي سيفين وقصته في بلاد يسكنها أناس خرافيون لهم وجوه تشبه وجوه الكلاب ، كان الاغريق يعتقدون انها تقع على حدود العالم من ناحية الهند او الحبشة او ليبيا

ويقول الاستاذ اننا نجد كذلك صوراً لهذه الفئة من الناس في آثار مصر القديمة في معبد مدينة حابو وفي نقوش أخرى تمثلهم وهم يعبدون الشمس

ومقال آخر لهذا الاستاذ عن طبق من العصر القبطي محفوظ في متحف اللوفر ، عليه شكل صليبي تتخلله اربع مناطق في كل منها طائر او حيوان . وزخرفة هذا الطبق شديدة التأثير بالزخارف الساسانية التي انتشرت في البلاد البيزنطية وفي مصر في ذلك العصر

ومقال للاستاذ يسمي عبد المسيح عن مخطوطات قبطية لم تنشر من قبل تحتوي على تسابيح كنسية تنشد في مناسباتها من أيام شهري توت وكيهك

وكتب الاستاذ درشر عن قصة روح القديس كلاوديوس مع اللصوص الثلاثة من عبدة الاصنام . فانهم سرقوا الاواني الثمينة والحلى التي وجدوها في مدفن هذا القديس وفي مدافن



مض القديسين الآخرين، وفروا الى بلدهم عن طريق الصحراء، فظهرت لهم روح القديس كلاوديوس في ملابس رجال الشرطة. وبعد أن استردت ما يخص مدفن القديس من الأواني الحلي، أرشدت حاكم المدينة اليهم فحكم باعدامهم، ولكن روح القديس شفعت فيهم واعتنقوا المسيحية

وتلاه الدكتور مراد كامل بمقال نشر فيه خطابات مرسله من مصر الى امبراطور الحبشة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. وفات الدكتور انه كانت توجد بين مصر والحبشة، في العصور السابقة للفتح العثماني، علاقات أخرى ثقافية وسياسية، بدليل تبادل البعثات بين البلدين. أما ما يسميه الدكتور « الغزو الاسلامي للحبشة » في سنة ١٥٤٠ فلم يكن سوى محاولة العثمانيين فتحها بعد فتح مصر لما بين البلدين من روابط ولا شك ان في الخطابات التي نشرها الدكتور أكبر دليل على هذه الروابط

وكتبت الدكتورة هله زالوشر مقالاً عن نقش محفوظ في المتحف القبطي يمثل منظرًا لمصيد وبيئت كيف ان شكل الصيادين في هذا النقش يناقض ما اعتاد الاغريق أن يصنعوه في شكل هرقل — عند تصويرهم له في مناظر الصيد — من مرونة الجسم والقوة والشجاعة ونشر الدكتور جورج صبحي بك ترجمة انكليزية لمخطوط باللغة العربية مؤرخ في سنة ١٧٦٨ عن حساب الشهور القبطية مع مقارنتها بالشهور العربية

وترجم الدكتور مراد كامل للمستشرق الالماني الشهير الدكتور اويجين ميتفوخ المتوفى في العام الماضي في انكلترا بعد ما اضطرته الظروف السياسية أن يهجر وطنه فسرده ما ألفه هذا المستشرق الكبير من كتب وأبحاث كثيرة، لا سيما ما كتبه منها عن الحبشة (كذلك راجع ما كتبه الدكتور مراد في مقتطف فبراير سنة ١٩٤٣ صفحة ١٨٠ وما يليها)

ومن طريف ما اشتمل عليه هذا العدد من المجلة مقال تحدث فيه الامتاذ مونييه عن الدراسات القبطية خلال سنة ١٩٤٢، فجاء بملخص بعض المحاضرات التي ألقى باسم الجمعية، وما نشرته من المطبوعات، وبيان أهم الحوادث في مصر بين القرن الأول الميلادي وسنة ٦٤٠. ومقال آخر نقد فيه الدكتور دريتون كتاباً من مطبوعات الجمعية عن النصوص القبطية واليونانية في بلاد النوبة للامتاذ توجو مينا

ولا يسعني قبل اختتام هذه الكلمة إلا أن أشيد بالمجهود الكبير الذي يبذله القائمون بأمر هذه المجلة فهي رسالة علمية جديرة بالاعجاب والتقدير

الدكتور محمد مصطفى

مساعد فني بدار الآثار العربية



# بَابُ الْإِخْبَارِ بِالْعِلْمِيَّةِ

## جبرائيل تقرر

حضوره إلاّ بذلك الحدق الذي أجرى التمثيل  
خير مجرى ، وما تجليه إلاّ بفضل الروح التي  
نقشها في أشخاص المسرحية

وما كان — بعد ذلك — ليرضى عن كما  
مدح تقال فيه بل أسرف في التواضع فكما  
يأبى أن يذكر اسمه في صحيفته إلاّ عند  
الضرورة التي لا مفرّ منها ، ولم يدّر أسدو  
فكتم ، ولم صالح عمل فأغفل . وأجلّ من ذلك  
شأناً أنه نظر الى صحيفته لا الى اسمه فما عد  
نفسه صاحبها بل عدّ نفسه خادماً لها . فكاد  
من ذلك أنه رفعها عن الغرض ونزّههم  
عن الهوى

فالناس لديه سواء ، ورأي هذا كراء  
ذاك ، ولفلان الحق في النشر ولفلان مثل هذا  
أيضاً . هو خادم صحيفته فليس له أن يتطاوع  
على مهمتها ويخضعها وينزلها عند قضاء شهوته  
وصحيفته خادمة الجمهور فليس لها أن تؤثر  
نامساً على ناس وان تبدي مسألة وتخي مسألة  
تلك السنة التي استنساها جبرائيل تقلاً باش  
ومبعثها نفس رفيعة أبية ومنذها عقل سليم  
راجع . ومثل هذه السنن باق على مدار الآيا  
وتقلب الحوادث ، ذلك لأنه ناهض على أس مكين  
التجرد أصل الفلاح والنبات . تلك حقيقة سيكشف

صفحة من صفحات الجلال في هذا الشهر  
المشؤوم طويت ! خطف الموت رجلاً من  
رجال الشرق العربي ، رجلاً ورث بناءً ثابتاً  
فأعلاه ووسّعه وزاد في توطينه وتحصينه  
قد تحدث الكتاب في شأن تقلا وأفاضوا  
وعلقوا . فذكروا كرم خلقه وطيب نفسه  
واتقاد ذكائه وصلابة عزمه . وثمة سجيّة  
أحب أن أتأمل لديها ، فانها ، عندي ، صفة  
الراحل الأولى وبها اتسمت صحيفة «الاهرام»  
وعليها جعلت تجري

استطاع جبرائيل تقلاً أن يغلب الموضوع  
على الذات في هذا الشرق العربي الذي لا يزال  
في أكثر الحال على الحكم بالهوى أو على  
التشبث بالأنانية أو على خلط العمل بصاحبه .  
استطاع الراحل الكريم أن يتجرد في سبيل  
صحيفته ، إذ أدرك أن الفناء مكتوب له  
وأن البقاء انما هو لها ، وإن الفاني ان قبض  
على سعي أفسده

كان — رحمه الله — كمن يخرج مسرحية  
من المسرحيات : يدرّب الممثلين ، ويوجه  
الحوار ، ويمين الحوادث ، ويعيّن المشاهد ،  
حتى اذا خرجت المسرحية الى النظارة غاب  
وتخلّى . وهو على ذلك حاضر متجمل ، وما



تاريخ الصحافة المصرية بل العربية عن خطرهما في ذمة الله من جاهد النفس وأجرى السفين آمنًا في بحر لا تسكن عواصفه . ولقد أحسن الله عزاءنا بفضل أمير بحرك ، انطون

الجميل ، فعليه كان معولك ، وفيه استقرت ثقتك ، وأنت تدري ان صفتك صفته . فان كنت ذهبت فصاحبك هنا وسعيكما سعي باقي بشر فارس

### امتحان جديد للحمل

كشف فريق من الاطباء الباحثين في الولايات المتحدة اسلوباً جديداً لامتحان الحمل وجربوه في مستشفى مشهور في مدينة نيويورك فثبت انه دقيق في تبين الحمل في ٩٧ في المائة من الحوادث . وأهم ما يمتاز به هو السرعة وقلة النفقة . وقد جاء في رسالة العلم الاسبوعية ان الطبيب الممتحن يستطيع ان يعرف في ساعتين على الأقل وست على الاكثر هل المرأة حامل او لا . وكانت الاساليب المستعملة لامتحان الحمل قبل هذا الاسلوب تستغرق يومين الى اربعة ايام قبل معرفة نتيجة الامتحان

أسهل من حفظ الارانب . والجردان على كل حال ليست نادرة إذ لا يحتمل — على رأي أحد كاشفي هذه الطريقة — أن يشتد الطلب عليها لأجل الأكل !

وكشف الحمل الجديد قائم على ملاحظة جديدة ، وهي : ان حقن مفرزات كيميائية الحامل في فارة صغيرة يحدث احتقاناً في الأوعية الدموية في مبايض الفارة قبل أن تنقضي ساعتان . وأما كاشف الحمل السابق فكان قائماً على حقن المادة نفسها وانتظار تغير معين في المبايض لا يتم قبل ٤٨ ساعة وهذا التغير هو نمو جسيمات خاصة . والتطلع الى هذه الجسيمات صرف نظر الباحثين عن ملاحظة حالة الأوعية الدموية

وقد جرب الكاشف الجديد في ٩٤٨ حالة فاذا كانت المرأة حاملاً فاحتمال معرفة حملها معرفة صحيحة هو ٩٧ في المائة واذالم تكن حاملاً فان معرفة ذلك لا تخطئ مطلقاً وسرعة الحصول على نتائج هذا الكشف لها شأن عظيم في حالات نمو الجنين خارج الرحم وهي حالة تقتضي عملية جراحية لانقاذ حياة المرأة . والتبكير في معرفة هذه الحالة يزيد احتمال نجاح العملية

وأساس هذا الامتحان او الكاشف الجديد تطبيقه على الجردان بدلاً من الارانب فالأرانب — في اميركا — غالية الثمن الآن وقد يكون ثمن الأرنب جنيناً او دون الجنين قليلاً . وقد ازداد الطلب على الأرانب من أجل حملها ، في منطقة مدينة نيويورك حتى لقد تمضي أيام بغير ان يستطيع الطبيب الحصول على ما يلزم منها لاستعماله في امتحان طبي للحمل . أما الجردان فأرخص وقد لا يزيد ثمن الجرذ على عشرة قروش الى خمسة عشر قرشاً . وحفظ الجردان في معمل الطبيب



## امواج الدماغ الكهربائية في قضية قتل

بعنوان «عقل الانسان بين الكهربائية والغدد» يعلم ان دراسة الكهربائية في الدماغ من أطرف المباحث العلمية الطبية الحديثة . وقد وصل الباحثون في هذه الدراسة الى نتائج ليست قاطعة ولكنها تبشر بفائدة عظيمة وتشجع على الاستمرار . ومما أثبتته هذه التجارب ان دماغ الانسان تبدو فيه ظاهرات كهربية واضحة في أثناء اليقظة . وقد ميزوا بين ضروب مختلفة من التوجج الكهربى الصادر عن الدماغ . ثم أرادوا أن يعلموا هل يستمر هذا النشاط الكهربى إذ يخمد نشاط اليقظة وتخبو شعله الوعى . وقد أثبت « جيز » ان الاصابة بالصرع يصحبها ظهور نوع معين من الأمواج ، وأنه قبل حدوث نوبة الصرع ، تظهر أمواج منذرة بقرب حدوث النوبة ، وهذه الأمواج تسبق أي اعراض جسمانية ظاهرة تشير الى اقتراب حدوث نوبة الصرع ولكن الفصل في المسألة من الناحية القضائية ليس ميسراً . فدراسة دماغ امرئ ما على هذه الطريقة ، واستخراج الدليل منها على انه معرض للإصابة بالصرع ، لا يقوم دليلاً قانونياً على انه كان مصاباً او يوشك ان يكون مصاباً عند ارتكابه الجريمة . وكل ما يمكن ان يقال ان سجل الامواج الكهربائية في دماغه ، يشير الى إمكان اصابته عند ارتكابه الجريمة

روت جريدة التيمس اللندنية ومجلة اللانست الطبية قصة جندي حوكم أمام محكمة عسكرية لاطلاقه النار من بندقيته على جاويز فدفع المتهم بأنه كان قد أصيب اصابة في رأسه قبل اطلاق النار وأنه لا يتذكر شيئاً ولم يكن في القضية شهود عيان فقبلت المحكمة شهادة الخبراء المبنية على ما سجل من الامواج الكهربائية في دماغ المتهم وهو يدل على حالة شاذة فأفرج عنه . ثم حوكم بعد ذلك امام محكمة جنائية مدنية متهماً بقتل وحشى فدافع عنه محاميه بأنه مصاب بالاضطراب الذي يعقب حالة الصرع . فجيء بسجل الأمواج الكهربائية لدماغه ، فحكم المحكمون بأنه مدين ولكنه مخبول . وقد شهد الخبراء في المحكمة المدنية بأن تشخيص الصرع تشخيصاً دقيقاً استناداً الى سجل امواج الدماغ الكهربائية غير مستطاع . ولكن بعض العلماء المختصين في الولايات المتحدة يخالفون الخبراء الانكليز في هذا

ففي جامعة هارفرد الاميركية طيبان باحثان يدعى أحدهما « جيز » والثاني « لينوكس » استطاعا مراراً ان يكشفوا حالات الصرع « الخفية » أو « الكامنة » بالاستناد الى أمواج الدماغ الكهربائية ومن يرجع من قراء المقتطف الى الفصل الذي كتبناه في كتابنا « آفاق العلم الحديث »



## عنصر التنتالوم في ترقيع الجماجم

التنتالوم عنصر فلزي من العناصر النادرة وهو أبيض مزرّق يشبه الفولاذ في خواصه الطبيعية والزجاج في أوصافه الكيميائية . وهو يستعمل الآن في جراحة الجمجمة فتصنع منه لوحات وأقراص صغيرة تحل محل قطع من العظم تكسر في الجمجمة في إصابات القتال . وقد نشرت مجلة الجمعية الطبية الاميركية اقتراحاً بتعميم استعماله لهذا الغرض بقلم الملازم بودنز أحد رجال الفيلق الطبي الاميركي . وفيه يبين هذا الملازم نتائج بحثه العملي في استعماله التنتالوم على هذا الوجه واقتبس فقرات من تقارير لم تشر لأطباء استعملوه فعلاً في ترقيع جماجم الجرحى ، فأسفرت التجارب في الحالين عن نجاح يستوقف النظر

ومن خواص التنتالوم التي تجعله أصح ما يكون لهذا الغرض انه يمدد سلكاً دقيقاً ويطرق حتى يصبح كالورق بينما الفلز نفسه بارد وهذا يعين الجراح أن يقطع قطعة منه ويفرغها في القالب الذي يحتاج اليه بغير أن يضطر الى إحماؤه . ومن خواصه كذلك انه لا يتأكل وغير سام ولا يتفاعل تفاعلاً مستنكراً مع أنساج الجسم . وهو فلز ثقيل وزنه الذري يفوق الوزن الذري للحديد ثلاثة أضعاف . ولكن امكان استعماله في رقائق تكاد تشفى لا يجعله ثقيل الوطأة على رأس من تعالج جمجمته به ولم يشك ثقله احد عولج به وقد سبق استعمال التنتالوم على وجوه شتى في جراحة العظام والغضاريف

## نبات مزهر يتبع أوجه القمر

في « مجلة النباتات الزهرية » وصف نبات زهري غريب . ففي الربع الأول والآخر من وجوه القمر يكثر الزهر فيه وعند ما يكون القمر هلالاً أو بدرًا يتجرد النبات من الزهر وأصل هذا النبات يرجع الى جنوب افريقية وهو تابع للفصيلة الزنبقية واسمه العلمي

Morea iridoides وأول من لاحظ ظاهرة اتباعه لأوجه القمر في إزهاره عالم سيكولوجي لا عالم نباتي وهو الأستاذ دنلاب احد علماء ولاية كليفورنيا الاميركية المتوفّر على زراعة البساتين في ساعات فراغه ، من بحث غوامض العقل وخفايا النفس البشرية

## طريقة جديدة لمقاومة الانفلونزا

تجرب الآن في احد معامل البحث العلمي التابع لوزارة البحرية الاميركية ، طريقة جديدة لمقاومة الانفلونزا ، قائمة على تحضير مصل معقم ورشه رذاذاً واستنشاقه . وقد

حضّر هذا المصل في دم جِـوَاد ثم رش رذاذاً بحيث استنشقه الفيران فخها من الاصابة بالانفلونزا ومقدار حمايته اياها كان متكافئاً مع طول مدة الاستنشاق



## السر روبرت وطسون وات

مراقب ادارة الاجهزة العلمية اللازمة للمواصلات . فضلاً عن كشفه الهامة وأبحاثه الخطيرة في الفنون الحربية العلمية فقد شغف بالشئون العلمية العامة وتتبع أخبار المشتغلين بها . وقد عين السر روبرت رئيساً « لجمعية المشتغلين بالعلوم » وهي رابطة تجمع أكثر المهتمين بالعلوم من شباب بريطانيا . وقد زاد عدد أعضائها وقت الحرب من ألف عضو الى عشرة آلاف عضو . ومما يدل على شغف العلماء بالبحث عن أجدى الطرق لتدبير العلوم والانتفاع الصحيح بالمشتغلين بها ان اشترك مئات العلماء في المؤتمر الذي عقده هذه الجمعية حديثاً حتى ضاقت بهم الردهة الكبيرة التي عقد الاجتماع فيها فاضطر أكثرهم للوقوف

ونبوغ السر روبرت في البحث العملي وميله للاشتغال بكل ما فيه الصالح العام يعد مثلاً نبيلاً لما يتصف به معاصروه من العلماء البريطانيين الذين بكشفوفهم العديدة حافظوا على المدنية من الانهيار وبحكمتهم وجدوا الطريق القويم لاستعمال العلم في خدمة بني الانسان [ النشرة العلمية الشهرية ]

يرجع الفضل في نجاح سلاح الطيران البريطاني في المعركة الكبرى التي نشبت في سماء بريطانيا في عام ١٩٤٠ الى استخدام الراديو في تحديد مواقع طائرات العدو وهي على بعد من سواحل بريطانيا . وقد كان هذا الكشف في منزلة حارس جوي خفف عن قائدي طائرات الدفاع البريطانية ضرورة الطواف المستمر في سماء بريطانيا واكتساب بعض الراحة وقد كانوا في شديد الحاجة اليها . وكسبت المعركة بالرغم من ان عدد طائرات العدو كانت تفوق عدد الطائرات البريطانية كثيراً . ويرجع الفضل في تقدم هذا الكشف الخطير الى العالم البريطاني السر روبرت وطسون وات . ولد السر روبرت في اسكتلندا منذ احدى وخمسين سنة وتلقى علومه بمدينة دندي باسكتلندا . أما أبحاثه فكانت خاصة بعلم الظواهر الجوية والراديو وعلاقته بعلم الطبيعة واشتغل كثيراً بدراسة العواصف البعيدة فوجد — وذلك باستعمال جهاز راديو خاص — محال نشأتها وهي على بعد آلاف الأميال في بعض الاحيان والسر روبرت يشغل الآن وظيفة مساعد

## القوة المحركة في هذه الحرب

على المعدل . وقد بلغت القوة المحركة المتاحة لفرقة مدرعة في هذه الحرب ٤٠٠٠٠٠ حصان

كانت القوة المحركة المتاحة لفرقة من المشاة في الحرب العالمية الاولى ٣٣٠٠ حصان



## فهرس الجزء الثالث

من المجلد الثالث بعد المائة

|  |     |
|--|-----|
| العلم والحريات الأربع  | ٢٠٩ |
| صقلية العربية ملتقى ثقافات عظيمة                                 | ٢١٤ |
| كيف يحفظ الطعام بتأثير الحرارة والبرد                            | ٢١٩ |
| عيناك ( قصيدة ) . لعدنان مردم بك                                 | ٢٢٤ |
| الديمقراطية والاخلاق . للدكتور منصور فهمي بك                     | ٢٢٥ |
| السفستائيون اليونان : للدكتور عثمان امين                         | ٢٣١ |
| جمهورية حيوانات : لنقولا الحداد                                  | ٢٣٧ |
| مشكلة العصر وواجب كل فرد ازاءها . لسلامة موسى                    | ٢٤١ |
| جبرائيل تقلا باشا : لمحمد زكي عبد القادر                         | ٢٤٩ |
| استكشاف الطائرات بالاشعة تحت الاحمر وبأمواج الراديو القصيرة      | ٢٥٤ |
| نفس الطغاة في ضوء علم النفس التحليلي . لعلي أدهم                 | ٢٥٧ |
| الوزارة والوزراء في عصور مختلفة من الاسلام : لمحمد عبد الغني حسن | ٢٦٤ |
| عرس في قرية ( أقصوصة لبنانية ) . لكرم ملحم كرم                   | ٢٧٠ |
| الطوطمية او تقديس الاشياء . لرشوان احمد صادق                     | ٢٨١ |
| نباتات الصناعة في مصر : لمحمود مصطفى الدمياطي                    | ٢٨٦ |
| تدريب الخلق الروماني : لوديع الضبع                               | ٢٩٠ |

٢٩٥ مكتبة المقتطف \* من سلسلة اقرأ — ديستوفسكي وبودلير — : لسيد قطب . ميدو وشركاه.  
خيوط الغمام . في الادب المصري . أنات حائرة : لمحمد عبد الغني حسن . مجلة جمعية الآثار القبطية :  
للدكتور محمد مصطفى

٣٠٧ باب الاخبار العلمية \* جبرائيل تقلا : للدكتور بشر فارس . امتحان جديد للحمل . أمواج  
الدماغ الكهربائية في قضية قتل . عنصر التناولوم في ترقيع الجاجم . نبات مزهر يتبع أوجه التفرع  
طريقة جديدة لمقاومة الانفلونزا . المر روبرت وطاون وات . القوة المحركة في هذه الحرب